
مذاهب وشخصيات
بنيتو موسوليني
قصة حياته
بقلم : كريستوفر هيبرت
ترجمة : عبد الفتاح البكري
مراجعة : محمود فتحي عمر
الجزء الثاني
Bibliotheca Alexandrina
0173790

مذاهب وشخصيات



بنيتو موسوليني

قصة حياته

بقلم: كريستوفر هيبرت

الجزء الثاني

ترجمة: عبد الفتاح البكري

مراجعة: محمود فتحي عمر

الفصل الأول

« تسير الحرب فى غير مصلحتى »

٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ ـ ٢٣ يناير ١٩٤٣

القدر : يتحدث رجال الدولة
عن القدر فقط عندما يخطئون

بدأت المعارضة الايطالية للألمان وللنظام الفاشى تنتشر فى ايطاليا انتشارا كبيرا فى خريف سنة ١٩٤٢ ، فاضطرت الحكومة الى اتخاذ وسائل القمع والقاء القبض على المثقفين فى كل من روما ونابولى وميلانو ، وعلى العمال فى نابولى وسيشيل · وأصبحت المظاهرات والاضرابات عامة ، كما أصبح اطلاق النار فوق رءوس المتظاهرين من الأمور العادية · وقام الاشتراكيون فى جنوا ، والشيوعيون فى تورين بطبع النشرات السرية ، ونزع الشعارات الفاشية والصاق هذه النشرات مكانها · وقامت الصحف غير الفاشية بتأييد هذه المعارضة بكل حذر وحيطة ، وأشارت الى عدم الرضاء المنتشر بين الشعب ، لذلك أصدرت الحكومة أمرها بوقف جرائد هذه المعارضة ومنها جريدة « أودجى » « اليوم » ·

ونظرا لعدم توافر المواد الغذائية مثل الخبز والخضراوات واللحوم ، والارز والبيض ، فقد قامت الحكومة باتباع نظام الصرف بالبطاقات لتوزيع هذه المواد ، كما امتنع البوليس بعد ذلك عن التدخل فى شئون السوق السوداء بعد أن أصدرت الحكومة قرارا بتخفيض أسعار السلع الغذائية بنسبة ٢٠٪ وعدم قدرتها على تنفيذ هذا القرار ·

أما فى الجنوب فقد كان الفلاحون فى حالة تقرب من الجوع والبؤس وكان الفقراء يعانون من الجوع الشديد ويشدون الأحزمة على بطونهم حتى آخر ثقب فيها ، فقد كانت هذه الحرب حربه هو · هو الذى قادها واشعلها ، أما الألمان الذين قاموا بالحرب واحتلوا كل شبر فى أوروبا فقد كانوا أصدقاء بالفعل ، وكان الايطاليون يتحدث بعضهم الى بعض بأنهم سوف يعملون أى شىء فى سبيل انهاء الحرب ، وسوف يحاولون بكل امكانياتهم كسبها · والواقع أن غالبيتهم كانوا قد توقفوا عن التفكير فى كسب الحرب منتظرين أن يأتى اليهم من اذاعة لندن أى تلميح يمنحهم الأمل فى ذلك ·

وقد تقبل موسولينى هذه الروح التى تميل الى الانهزامية والتراجع كمظهر جديد من مظاهر عدم استحقاق الشعب لأى شىء وعدم تقديره الا للغناء والتهام « الأيس كريم » ·

لم يعد الايطاليون يصلحون لأى شيء مثلما كانوا فى عام ١٩١٤ ، وكان هذا أحد عيوب النظام الفاشى التى لا يمكن انكارها .

أما بالنسبة للجيش فقد كان الامر ميئوسا منـــه ، وكان الجنرالات والقوات رجالا لانفع فيهم ولا فائدة . وكانت البورجوازية دون شك تتسم بروح ، الأنانيـــة والانحلال ، وكانت تعتبر أسوأ الطبقات الايطالية على الاطلاق .

وفى أحد الايام نقل اليه اتصال تليفونى تم بين قيادة الجيش الالمانى فى ايطاليا وبعض القادة الالمان فى برلين حيث ذكرت القيادة الالمانية لفظ « مكرونة » بدلا من لفظ « الايطاليين » ، وطالبت بضرورة احتلال ايطاليا بأسرع وقت ممكن ، فهاج موسوليني وانفعل وقال لشيانو : انه يعد ملفا خاصا يتضمن اهانات الالمان وجرائمهم ليستخدمه حينما تحين الفرصة المناسبة .

وفى الوقت نفسه أهمل ذكر انتصارات الألمان وبدأ يتجه الى فضائل وانتصارات اليابانيين ، وأعلن أنه « من أكبر المؤيدين لليابانيين فى العالم كله .. » واختتم خطابه باعلانه .. « ان الجنود الايطاليين سوف يقفون جنبا الى جنب من أجل الانتصار مع جيوش « التحالف الثلاثى » ولكنه لم يذكر جنسية دول هذا التحالف . وفى مناسبة أخرى كان يقرأ تقريرا عن مدى معاملة العمال الايطاليين فى المعسكرات الالمـــــانية حيث كانوا يعاملون بطريقة لا تتسم بحسن الضيافة أو بروح الود بل كانوا ينزلون عليهم العقاب فى بعض الاحيان لعدم رضوخهم وخضوعهم التام ، فانفجر موسولينى لهذه الاهانة وقال : « ان هذه الامور سوف تخلق روحـــا من الحقد والكراهية الدائمة فى قلبى ، وسوفَ أسوى حساب هذه النقطة بعد أن انتظرت كثيرا ، ولكنى لن أسمح بعد ذلك لابناء هذا الشعب الذى أعطى الانسانية قيصر ودانتى ، ومايكل انجلو ، أن يخضعوا لمثل هـــذه الفئات المتعطشة للدماء ، وهذه الكلاب المسعورة ! »

ولكنه بالرغم من ذلك لم يحتج رسميا ، وانما اكتفى بهذه الأقوال ، ثم أصدر تعليماته الى شيانو للاتصال بالهرماكنسن السفير الألمانى فى روما والتحدث فى هذا الشأن كأنه يتحدث دون معرفة من الدوتشى الذى لا يعلم شيئا عن هذه المعاملة .

وقد خرج شيانو من هذه الاتصــــالات بروح مملوءة بالاشمئزاز والاحتقار « للألمان البرابرة الهمجيين ، الذين يشبهون الكلاب القـــذرة النهمة التى تأكل كل ما على العظام من لحوم وتترك أكوام العظام للايطاليين . ويجب أن يتذكروا أنهم قد تسببوا فى فقدنا امبراطوريتنا على حين تستمر فرنسا المنهزمة المدحورة تسيطر على امبراطوريتها . اننا قد نوافق على التخلى عن اقمصتنا ، ولكن الالمـــــان يودون تجريدنا من ملابسنا كلية .. » وقد أعلن شيانو فى مجلس خاص له أن الأمل الوحيد أمام ايطاليا الآن هو أن تنتهى الحرب بالنسبة لها بشروط مقبولة تحفظ لايطاليا كرامتها واستقلالها ، فى حين تستمر ألمانيا فى حربها حتى تنهكها وتدمرها ، ولكنه بالرغم من ذلك كله كان يحتفظ باعجابه الخــــاص لألمانيا .

وبعد أن تحدث موسوليني مع الفيلد مارشال كيسيلرنج القائد الالماني في ايطاليا ذكر قادته بروح طيبة وامتدحهم . وكان موسوليني يرغب في تقوية روح العنف والمقاومة في شعبه وجنوده ، وفي زيادة عزيمتهم وعدم اهتمامهم بالألم والمقاساة . وكان يود أن يعود الشعب الايطالي الى الشعور بدوام الخطر وعدم الخوف فأمر بأن تطلق صفارات الانذار أصواتها في روما اذا وقع أي هجوم على نابولي ، وأن تقوم بطاريات المدفعية باطلاق نيرانها لكي توهم شعب روما بوجود خطر مستمر فوقه وتثير فيه روح الحماس والدفاع الذاتي .

وانتهجت الحكومة سياسة أخرى مسايرة لهذا الاتجاه وذات طابع مدني فقد أعلنت اسماء المدنيين الصالحين للخدمة العسكرية تمشيا مع أوامر التعبئة العامة ، وصدرت الأوامر بمعاقبة الافراد على المخالفات السياسية والعسكرية ، كما صدرت أيضا بطبع مقالات معينة في الصحف والمجلات دون الاهتمام بالحقائق ، والاهتمام فقط باشعال روح الوطنية والاخلاص للفاشية والكراهية لعدوتها .

وقد ذكر في احدى المناسبات لشيانو أن هتلر قد اتبع طرقا قوية من أجل التأثير على شعبه : فمثلا عندما قامت البحرية البريطانية في ١١ من نوفمبر ١٩٤٠ بمهاجمة الاسطول الايطالي في تارنتو حطمت ما يقرب من نصفه . وصدرت الاوامر الى الصحف بعدم ذكر هذه الهزائم ، والتحدث عن غارة جوية خيالية قام بها الاسطول الجوي الايطالي على بريطانيا وأصابتها بكثير من الخسائر والضحايا « وكانت هذه الغارة في الواقع أول وآخر غارة يقوم بها الايطاليون على بريطانيا اذ خسروا فيها ثماني قاذفات قنابل وخمس مقاتلات » .

وعندما قامت مجموعة من جنود المظلات تبلغ مائة وخمسين باحتلال جزر الايون اليونانية أصدر موسوليني أمره باعلان أن وحدة كاملة قد قامت بغزوها واحتلالها .

وبالرغم من ذلك فلم يكن الشعب الايطالي متأثرا بهذه الجهود التي كان يقوم بها موسوليني لتضليله . وبمرور الزمن وظهور تعقيدات في الحرب وسيرها في طريق الهزيمة ، بدأ موسوليني يتجه الى محاولة التخلص من ويلات الحرب ، ولكنه مع ذلك كان يقابل بحفاوة كبيرة في المناسبات التي كان يظهر فيها أمام العامة ، ولكن هذه الحفاوة لم تكن سوى حفاوة مصطنعة ، وكان احترامها له مبعثه العادة .

وكانت هناك أسباب أخرى غير سوء النتيجة واتجاه الحرب وغير التحالف الكريه مع المانيا ، أدت الى كل هذا . فقد أصبح موسوليني في غاية المرض في هذه الآونة ، وأصبح يبدو ضعيفا واهنا ، لا كعادته من دوام الحركة وكثرة النشاط ، وانما أصبح جسدا متداعيا نتيجة مابذله في شبابه من جهود سواء في الجد أو العبث . وقد قال جوسيبي بوتاي وزير التعليم في ذلك الوقت :

« انني أتذكر الآن ان المارشال بالبو قد وصف موسوليني بأنه قد جاء نتيجة أحد الأمراض الخبيثة ، وكنت أعترض دائما على هذا الوصف ،

ولكنى أصبحت الآن أشك فى أن هذا الوصف كان صحيحا ، فقد تداعى موسولينى جسمانيا وثقافيا ، ولم يعد يجذبنى ويثير فى نفسى الحماس والقوة ، اذ لم يعد رجل عمل ، بل أصبح رجلا لا ينظر الا لشخصه وأطماعه الشخصية ، ويتوقع من الجميع أن يبدوا اعجابهم به » .

وفى أكتوبر سنة ١٩٤٢ لم يكن موسولينى فى طريقه الى الانهيار والتداعى فحسب ، ولكنه كان يعانى فى الوقت نفسه آلاما مبرحة لذلك أصبح طبيبه الخاص الدكتور « بوزى » ينتقل باستمرار بين فيللا تورلونيا ، وروكادل كامنياتى . وقد أعلن أن الجراح التى أصيب بها موسولينى فى عام ١٩١٧ قد انفتحت من جديد وأصبحت تسبب له آلاما لا طاقة له بها لدرجة أنه كان (كما يقول كوينتا نافارا كبير الخدم فى قصر فينسيا) يتقلب على الارض وهو يئن ويصرخ ، وليس هناك من ينكر قوته وشجاعته الجسمانية ، ولكن كان يجب عليه أن يصرخ ويتألم كأى انسان ، ثم يعود الى راحته حين يحقنه طبيبه الخاص (الدكتور بوزى) بالمخدرات . وبدأ منذ ذلك الحين يعتمد أكثر على الأدوية المخدرة .

ومرت الايام ، وبدأت صحة موسولينى تتحسن ، وبدأت أخلاقه تتغير تبعا لذلك ، فأصبح حديثه لا يحمل العنف والقوة ، ولم تعد تعليقاته تحمل طابع السخرية والتوحش ، وانما أصبحت تتصف بروح العصبية والانهاك . وبدأ موسولينى يشعر بحاجة ملحة للظهور أمام العامة متعللا بأن حياة العزلة تزيد من مشكلاته وتعقدها ، ولكنه كان لايزال مصمما على حل جميع المشكلات بنفسه .

ويقول الدكتور بوتاى : انه كان من الأفضل لموسولينى فى تلك الفترة ان يعيش منعزلا فى قصر بلازوفينسيا ، ولكن كانت « كلارا بتاتشى » صديقته الخاصة للأسف تنتظره كل يوم بعد الظهر فى حجرات « سيبو » فى الشقة العليا من القصر ولم يكن بوتاى هو الايطالى الوحيد الذى كان يخبر الدوتشى بأن زيارة صديقته هى السبب المباشر فى تدهور صحته . وقد استمع موسولينى الى النصائح فكان يذهب اليها قليلا ، ويجلس معها قليلا من الوقت وربما لا يذهب اليها بالمرة ، وتظل تنتظره ساعات وساعات دون جدوى ، فتهيج وتنفعل وتتهم حاشية موسولينى ومن يقدم له النصيحة بأنهم « جميعا أعداؤه ، وانهم يخونونه خمس عشرة مرة فى اليوم ، وان الفاشيين أصبحوا خونة ، وان القادة العسكريين أصبحوا تافهين أغبياء وخاصة « دى بونو »

وكانت بطبيعة الحال تعتقد أن حاشية الدوتشى لا تخون الدوتشى فحسب ، وانما كان الدوتشى نفسه يخونها ، لذلك كان الرعب يستولى عليها خوفا من أن يكون الدوتشى قد تحول الى صديقة أخرى : فقد كانت كل من مارجريتا سارفاتى وانجيلا كورتى تحاولان سرقته منها . وكانت هناك امرأة أخرى تدعى « ايرما » تحاول أيضا أن تبعد كلارا من طريق موسولينى لذلك حاول موسولينى أن ينهى علاقته مع كلارا بعد أن دامت سبع سنوات وهى تعتبر أطول فترة عرف فيها امرأة .

وفى ربيع عام ١٩٤٣ اعترض طريقها أحد جنود الحرس فى قصر بلازو فينيسيا وأخبرها أنه قد تلقى أوامر بمنعها من الدخول ، فأزاحته

الجندى من طريقها وصعدت لتجد الدوتشى يستقبلها ببرود وجفــوة ، وقال لها : « اننى أعتبر أن الدائرة قد أقفلت » ولكنها ظلت تحاول استدرار عواطفه ، عن طريق الدموع المنهمرة التى أغرقت وجهها الابيض ، وترجوه أن يعفو عنها ويرجعها الى حظيرته .

وبعد عدة أيام اتصل بها تليفونيا وأخبرها انه يأسف أن يطلب منها ألا تذهب الى قصر بلازو فينيسيا مرة أخــرى ، ورجاها أن تتركه وحده « لأن الحـــرب لا تسير فى مصلحتى » .. وقال : ان الشعب قد ينتقدنى لضعفى ، فهناك امرأة واحدة جعلتنى أقدم على الاعمال الشاذة التى تدل على الغباء ، لذلك لا أنوى أن أستمر فى هذا الموقف الضعيف » ولكنه فعل ذلك وكان يوجه اليها الاهانات ويتشــاجر معها ويسلك نحوها سلوكا لا شعور فيه » كما لو كانت هناك امرأة أخرى تأخــذ منه كل شىء .

وكان يتشاجر معها دائمـــا بسبب عائلتها ، وبسبب مضاربات أخيها المالية ، والمذكرة الغامضة التى أرسلها اليه يشرح فيها كيفية كسب الحـــرب .

وقد جاء اليوم الذى لم يعودا يهتمان فيه بالمشــاجرات واختلافات الرأى ، واكتفيا باللقاء للتغنى بنغمات الحب وكانت تقول له : « اننى لن أحضر بعد الآن خلال النهار ، بل سوف أحضر عندما يسدل الظـــلام ستاره ، لأجلس معك بضع دقائق لأراك وأقبلك ، لانى لا ارغب فى أن أتسبب فى فضيحة ! »

« ولكنها كانت فى الواقع فضــيحة تؤذى الدوتشى أكثر بكثير من خسارة خمس عشرة معركة حربية » . كما ذكر أحد ضباط البوليس الكبار . وقد وافق شيانو على هذا الرأى فذكر « أن هذا الرأى حقيقى لأن الكلام قد كثر وانتشر عن هذا الوضع » .

وقد ذكر أحد الموظفين الكبار أن عائلة « بتاتشى » تسيطر على كل شىء فتمنح الحماية السياسية ، والتهديد من أعلى ، والتآمر من أسفل. ولكن ماذا يستطيع الانسان أن يفعله لابلاغ الدوتشى بكل هذه الأعمال ؟ لقد كانت حاشيته وسكرتاريته الخاصة تنتهز هذه الفرصــــة لتحقيق المكاسب المالية الشخصية . وكان موسولينى نفسه يؤمن ايمانا عميقــا بالحب الخالص . لذلك لم يكن يقــــدم لصديقته سوى الهدايا القليلة البسيطة ، ولكن الشعب الايطالى لم يكن يصدق أن كلاريتا لا تســتغل وضعها لمصلحتها لأنه كان يراها ترتدى أفخر الثياب وتفوح منها رائحة العطر الباهظ الثمن الذى كانت دور الأزياء والعطور تتسابق لتقديمهــا اليها لكسب رضائها وتزكيتهم عند الدوتشى .

ولم يكن الشعب يصدق أيضا أن الماسة الضخمة التى تضعها فى اصبعها كانت هدية من أحد أصحاب البنوك الذى كان يعتقد أن نجاحه يرجع الى تدخل كلاريتا فى صفقة كبيرة أدت الى ارتفاع ربحه .

وكان الشعب يتحدث عن عائلة بتاتشى أكثر من حديثه عن كلاريتا

نفسها على أساس أن هذه العائلة تستغل وضع كلاريتا الى أقصى الحدود دون النظر الى الوسائل والنتائج . وكان الشعب يعرف أن والد كلاريتا قد أسس فيللا جميلة حديثة مغطاة من أسفل بالمرمر الاسود ، وكان يعتقد أن الدوتشى هو الذى تولى دفع نفقات البنـــاء والاعداد ، ولكن موسولينى فى الواقع لم يدفع شيئا ، وانما أسستها العائلة من الاموال ، التى كانت تحصل عليها من الاستغلال والرشا .

وقد قام عدد كبير من قادة الحزب الفاشى بالاجتماع بشـــيانو ومطالبته باخطار الدوتشى عن روح الاستياء السائدة بصفته زوج ابنته وأقرب الناس اليه من ذوى المناصب الكبرى فى الدولة ، ولكن شيانو لم يجرؤ على فعل هذا ، ولم يجرؤ أى انسان آخر على ذكر هذا أمـــام موسولينى . بل كان الجميع يرون ويسمعون ويصمتون .

وعندما أعد وزير الحربية تقريرا مليئا بالوثائق والمستندات عن مدى تدهور الأوضاع الداخلية ، وازدياد الحركة المعـادية للفاشية ، لم يجرؤ بوفارينى جويدى سكرتيره الخاص على تقديمه اليه .

ولم تكن هذه الحركة الخاصة بعزل الاخبار والمعلومات السيئة عن موسولينى جديدة فى الدوائر الفاشية ، فقد كان الاعتقاد الســائد فى جميع أنحاء ايطاليـــا أن الحقائق كانت تخفى عن الدوتشى خوفا من اثارة غضبه وكان الشعب يقول : لو عـــرف الدوتشى كل هذا ! وذلك عندما يلمس سوء المعاملة والفوضى والقسوة والمكر ، والقوانين الجائرة ، وذلك لأن الشعب كان لايزال يعتقد أن الدوتشى مازال يتمتع بصفات الألوهية ، فهو لذلك غير مسئول عن الأخطاء التى يرتكبها أتباعه الزائفون ، ولكن هذا الموقف تدهور وأخذ يتلاشى بسبب ازدياد حال السوء فى البلاد ، وبالهزيمة التى لحقت بايطاليا فى ميادين الحرب .

وبانتهاء عام ١٩٤٢ بدأ الايطاليون يشعرون بأن الدوتشى جـــزء لا ينفصل عن الظلم والقسوة والهزيمة ، والصعوبات ، والمصائب التى نزلت فوق رأس ايطاليا نتيجة النظام الفاشى الذى أوجده موســولينى ، ولم يستطع أن يواجه به حال الطوارىء فى البلاد وحال الحرب التى أوقع ايطاليا فيها ، واتجهت بها الى الانهيار والخراب .

الفصل الثانى

المتآمرون

نوفمبر سنة ١٩٤٢ ـ ٢٤ من يولية سنة ١٩٤٣

لماذا لم يقرأ قيصر قائمة أسماء المتآمرين عندما قدمت اليه ؟ ربما لأنه سمح بأن يقتل شعورا منه بأنه قد بلغ النهاية .

ـ ١ ـ

قامت وحدات الجيش البريطانى فى٢٣ من يناير سنة١٩٤٣ باحتلال مدينة طرابلس ، وأصبح الوضع بالنسبة للكثيرين من الايطاليين أن لا أمل من هذه الحرب ، لذلك يجب فض التحالف مع الألمان بأسرع وقت ممكن حتى يمكن حفظ ماتبقى من ماء حياء الوجه . وفى الوقت نفسه كان هناك القليلون من الايطاليين الذين يعتقدون أن المحور سوف يتحطم لو بقى الدوتشى واستمر فى سلطانه وهذا هو الرأى الذى كان يعتقده الألمان أنفسهم وخاصة جوبلز عندما سقطت طرابلس، وأصبحت تونس على وشك الانهيار ، ولكن الدوتشى أكد مرة أخرى للفوهرر أنه سوف يسير معه مخلصا للمحور ، وهذا أمر لا مجال للشك فيه طالما أن الفاشية فى سلطانها وأن موسولينى يتحكم فى ايطاليا .

ولكن جوبلز تساءل : الى متى سيظل الدوتشى محتفظا بسلطانه ؟ وكم هو مقدار السلطة التى يملكها ويتحكم بها ويوجه الأمور ؟ لقد عملت الارستقراطية والقصر معا على تدمير جميع قراراته ، على حين كان القادة العسكريون على اختلاف تام معه .

وقد ذهبت المعارضة الى أبعد مما توقع جوبلز نفسه : ففى نوفمبر سنة ١٩٤٢ انتصر مونتجمرى فى العلمين وهزم الجيوش الايطالية فى شمالى افريقية هزيمة منكرة وبدأ سيل المؤامرات ضد موسولينى . وقد اتخذت هذه المؤامرات شكل التلميحات والاقتراحات والمحادثات السرية ، والاجتماعات بين البلاط الملكى وبعض كبار ضباط القيادة العامة . ولكن المتآمرين بدءوا ينتشرون ، وبدأت المؤامرات تشق طريقها وتتضاعف لدرجة أن الملك نفسه قد اشترك فيها . وقام وزير شئون القصر الملكى الدوق بيترود اكوارون ، والاميرة ماريا جوزيه زوجة ابنه ووريثه أومبرتو بالاتصال المباشر مع القادة العسكريين الذين يرغبون فى التخلص من دكتاتورية موسولينى .

وقد كتب المارشال كافيليا وهو أحد الشخصيات المحترمة المعادية للفاشية فى مذكراته فى شتاء عام ١٩٤٢ يقول : « لقد سمعت من مصادر متعددة ان القصر يحاول أن يجد حلا للأوضاع قبل أن يتدخل أى شخص آخر ، لذلك يقوم الملك بنفسه بدراسة ما يمكن فعله الآن » .

وقد اتفق القادة رفاق المارشال كافيليا على أن الدوتشي ليس هو المسئول الوحيد ، لذلك ليس هو الوحيد الذى يجب تغييره : فكان الجنرال فتوريو امبروسيو الذى اشترك فى الحوادث التى أدت الى اعتقال الدوتشى فيما بعد ، يعتقد أن الملك يجب أن يذهب أيضا ، لأنه هو الذى أدى الى تمكين الفاشية من البلاد .

وقد قام بادوليو ، وآمبروسيو ببحث فرص النجاح مع كل من الجنرالين جيوسيبى كاستيليانو ، وبمبوكاربونى ورسم الخطط التى يمكن اتباعها بنجاح . وفى الوقت نفسه كان هناك عدد من الوزراء الفاشيين الذين يرسمون الخطط للاطاحة بموسولينى ونظام حكمه : أهمهم وأكثرهم خطورة هو جوسيبى بوتـــاى وزير التعليم والكونت دينوجراندى وزير العدل الذى كان يتمتع بذكاء مطلق واطماع لا حدود لها ، وكان هنـــاك عدو لهم جميعا هو « جويدو بوفارينى جويدى » وكيل وزارة الداخليـــة الذى كان يعتقد أن اخطار الدوتشى بهذه المؤامرة يطيح بعدد من الوزراء ويكسبه ثقة الدوتشى فيه . وكان جويدى على صلة صداقة قوية باحدى صديقات موسولينى السابقات التى كانت لا تزال تتمتع برضاء الدوتشى وتدعى أنجيلا كورتى فحضها على الكتابة الى الدوتشى لتخبره بالمؤامرات التى يدبرها من حوله كل من جراندى وبوتاى ، كما دفعها الى اتهـــام الكونت شيانو ، وروبرتو فاريناتشى بعدم الولاء له .

ولم يتأثر الدوتشى كثيرا بهذه الحقائق ، وانما قرر بعد مرور بضعة أيام على تلقيه خطاب انجيلا كورتى ، أن يقوم بتغيير جديد فى الحـرس ثم باجراء تعديل فى وزارته للتخلص من الذين وردت أســـماؤهم فى خطاب كورتى ، فنقل الكونت جراندى من وزارة العدل الى رياســة مجلس النواب ، وجوسيبى بوتاى من وزارة التعليم الى المجلس الفاشـــيستى الأعلى ، وأسند وزارة الخارجية الى جوسيبى باستيانينى بدلا من الكونت شيانو الذى أرسله سفيرا أمام البابا .

وكان موسولينى فى حالة ضيق شديد فى هذا الوقت لذلك قال لشيانو : « يجب أن تعتبر نفسك فى اجازة الآن » ، ولكنك سوف تعود مرة أخرى » .

وكان الكونت أوجو كافيليرو قد طرد فى ٣١ من يناير أى قبل التعديل الوزارى بستة أيام من رياسة أركان حرب الجيش نظرا للهزيمة المنـــكرة التى أصيب بها الجيش الايطالى فى شمالى افريقية ووضع مكانه الجنرال امبروسيو الذى كان غارقا حتى أذنيه فى المؤامرة ضد موسولينى والذى كان مكروها لدرجة خطيرة من جانب هتلر والقادة الألمان أنفسهم .

وبحلول الربيع تشعبت المؤامرة ونمت وازدهرت ، فأصبح هنـــاك مؤامرات ضد الملك ، ومؤامرات ضد الفاشية ومؤامرات ضد الألمان . وكان

موسولينى يتجاهل جميع التقارير التى ترد اليه من زوجته راشيل وأخته ادفيجى متعللا بأنهما يبالغان فى الموقف .

وفى ابريل ذهبت أنجيلا .كورتى اليه لتخبره أن الملك لا يستقبل القادة العسكريين الثوريين فحسب ، وانما يستقبل ايضا رجال السياسة المعادين لفاشية ولكن موسولينى رد عليها قائلا : انه يثق ثقة تامة فى ولاء الملك له لأن القصر بعيد كل البعد عن معرفة الرأى العام الحر .

وبعد عدة أسابيع قليلة حذر سكرتير الحزب الفاشى موسولينى بأن أخبره أن ابن بادوليو قد أعلن فى مراكش ان والده سوف يخلف موسولينى فى القريب العاجل ، وان هناك الكثير من التقارير الواردة من جميع أنحاء ايطاليا تشير الى أن الفاشيين يعدون العدة لتدميره فى الحال . ولكنه لم يأخذ هذا التحذير مأخذ الجد ،حتى البابا نفسه عرض عليه ان يستقبله فى السر لاعطائه بيانات ومعلومات لا يعرفها وتتعلق بحياته ووضعه ، ولكنه رفض وأعلن أن الملك من أعز اصدقائه ومن المخلصين له .

وبقى موسولينى غير مهتم تماما باعدائه وخصومه ونشـــــــاطهم المعادى ، لأن كل ماكان يشغل ذهنه هو كيفية سير الحرب ، ونتائجها المتوقعة ، ولانه كان يعتقد اعتقادا جازما أن الوضع السياسى داخل البلاد يتوقف تماما على الوضع العسكرى والحربى : أى أنه لو استطاع أن يحقق أنتصارا حربيا ، لاستطاع أن يخرس ألسنة المعارضة ..

واستمر يؤكد أن الانتصار الحربى مازال ممكنا اذا استطاع الجيش أن يوحد صفوفه .

وليس هناك من شك فى ان انسحاب روميل كان سيطيل عمـــــر الحرب ، ولكن النتيجة النهائية كانت معــــروفة : فقد كان الوضع فى تونس فى غاية الخطورة ، ولكن كان من الممكن معالجته على حسب عقيدة موسولينى عن طريق التفاوض مع روســــيا من أجل الصلح الأمر الذى سوف يحرر ألمانيا من الجبهة الروسية وتعمل على تكتيل قواها فى منطقة البحر الابيض .

وفى ٢٦ من مارس ١٩٤٣ كتب موســـــولينى الى هتلر يهنئه على قدرته على تجميد الجبهة الروسية بعد معركة ستالنجراد ، واقترح عليه أن ينهى هذه الحال مع روسيا بعد أن أصبحت فى حال لايمكن معها أن تشـــــترك فى أية حرب ولـكن هتلر لم يكن فى نيته أن يفعل ذلك فقد سيطرت عليه الفكرة الجنونية من أجل هزيمة روسيا وكانت الظروف التى أحاطت بالاوضاع فى ايطاليا فى الآونة الاخيرة ونقل شيانو من وزارة الخارجية الى منصب سفير لدى الفاتيكان قد أثارت مخاوف هتلر ، لذلك طلب من موسولينى أن يحضر اليه فى ألمانيا لبحث جميع الاوضاع من جميع زواياها ، وعلى هذا نظم الاجتماع ليعقد فى ٧ من ابريل فى قلعة كليسهايم بالقرب من سالزبرج .

ولم يكن موسولينى راغبا فى الذهاب ، فلم يكن قد شفى تمامـــا من الأمراض التى هاجمته ، وكان يخشى أن يحتقره الألمـــان اذا رأوه

يسافر وبجانبه طبيبه الخاص ليحقنه ، وطباخ ليعد له غـــذاء خاصا . ولكنه بالرغم من ذلك قرر الذهاب الى ألمانيا ، وقد وصـــفه جوبلز فى مذكراته بأنه « كان يبدو رجلا عجوزا محطما لا أمل له فى الحياة » .

وعند وصوله كان قد نسى تماما قراره الخاص بتصميمه على ضرورة توقيع الصلح مع روسيا ، وعلى ضرورة عودة القوات الايطالية من الجبهات المختلفة للدفاع عن الوطن ، وعن طلب معونات عسكرية واقتصادية من المانيا . ولم يتذكر حاجة أوروبا الى ميثاق اوربى جديد من أجل اقـــرار السلام فى الغرب ، وهو الامر الذى بحثه باستفاضة فى روما .

وكان يتحدث بروح منكسرة وبقلب ملىء بالحزن والكآبة ، وأخـــيرا قرر التحدث والاكتفاء بالاستماع الى أحاديث الفوهرر وشرحه للموقف وتشخيصه وتحليلاته . وكان يستمع وهو يفكر فى مدى ماعزم عليـــه هتلر للقيام بأعمال عدوانية جديدة فى روسيا ، ومدى ماسوف يصيب القوات الايطالية فى تونس نتيجة هذا العمل .

وفى اليوم التالى اضطر موسولينى أن يترك مكان الاجتماع حـــين أصيب بمغص حاد فى معدته ، ويذهب الى طبيبه الخـــاص الذى أعد له الدواء اللازم ، وكان الحزن والأسى يبدوان على وجه موسولينى بعد أن عرف نيات هتلر فى عدم التخلى عن الجبهة الروسية .

وفى طريق عودته الى ايطاليا بدأت صحة موسولينى تتحسن وبدأ يمارس النشاط الدكتاتورى الذى كان يمارسه عادة عند عودته من المانيا باستمرار فأخذ يهدد بالقاء القبض على معارضيه ، وأعطى أوامر باعـداد سجون لأعداء الفاشية وطـــرد كارمين سنيسى رئيس البوليس لانه لم يستطع وقف تيار الاضرابات بشدة فى ميلانو وتورين ، واكتشـــاف المطبعة السرية للصحف والنشرات السرية ، ووقف نشاط السوق السوداء وعين مكانه سنزو شيرتشى الذى كان يتصف بالقسوة والعنف . وطرد أيضـــا الدوفيدوسونى من سكرتيرية الحزب ووضع مكانه ســـكورزا وهو أحد شـــباب الفاشية الذين اتهموا باغتيال زعيم الأحـــرار جيوفانى امندولا فى عـــام ١٩٢٥ . واستمر فى تنفيذ خططه ووضع تنظيمات جديدة للحزب الفاشى فى جميع المناطق والأقاليم حتى تستطيع أن تحث الشعب وتشجعه على الحرب الى الموت .

وفى العيد السنوى للاستيلاء على أديس أبابا تحـدث الى الجماهير من « فراندة » قصر بلازوفينيسيا وأعلن : « اننى أشعر أن أصـــــواتكم ترتفع بالايمان العميق النظيف ، هل تخشون الا يكون مصنـــيركم هو النصر ؟ ... لا ومن المؤكد أن تضحياتكم سوف تكافئون عليها . وهذا أمر لا جدال فيه مثل حقيقة وجود الله واستمرار بقاء ايطاليا أبد الدهر »

وبعد يومين من هذا الحماس المؤقت انهار موسولينى تماما فقـــد وردت اليه أنباء تؤكد أن قوات المحـــور فى افريقية قد حوصرت ، وان هناك قوات غربية فى طريقها الى النزول على سواحل البحـــر الابيض . وكان هتلر يعتقد أن الهجوم ســـوف يقع على جزيرة سردينيـــــا ولكن

موسوليني كان يعتقد انه سوف يقع على صقلية ، لذلك أمر بعقد اجتماع عاجل للقادة العسكريين حيث طلب منهم ضرورة المقاومة بعنف لانه لاأمل هناك لوضع تسوية سياسية أو توقيع معاهدة صلح منفصلة ٠

وفي ١٠ من يولية وقع الهجوم بعد القاء عدة قنابل قوية على طول الساحل ، وفي خلال أيام قلائل كانت قوات الحلفاء تتدفق عبر سهول « قطنة » وكان موسوليني يتأرجح بين الهدوء والثورة والغضب خـــلال هذا الأسبوع على حسب مدى صمود أو تقهقر قواته ٠

وبعد أن كان الملك يتردد في اتخـــاذ خطوة حاسمة ايجـــابية للوقوف مع المتآمرين صمم على عدم التراجع والتأخر : فقـد قرر بنـــاء على نصيحة الجنرال كاستيلانو والدوق دى اكوارون أن يعتقل موسوليني يوم الاثنين أو الثلاثاء عندما يذهب الى كوربنالى أو فيللا سافوى ، وطلب من المارشال بادوليو أن يخبره : هل هو مستعد لتولى زمام الأمور في البلاد أو لا ؟ فأعلن بادوليو أنه على أتم الاستعداد واقترح اقامة حكومة غير فاشية تضم عناصر مثل ايفهاو بوتومى الاشتراكى وبعض رؤســـاء الوزارات الآخرين ٠

وبعد ذلك اجتمع كاستيلانو ودى اكوارون لبحث تفاصيل القبض على الدوتشي والعمل اللازم للتيقن من أن مؤيدى موسوليني لن يقوموا بعمل يفسد هذه الاستعدادات وخاصة الجنرال جاليانى الذى عين قائدا لقوات الماليشيا الفاشية ٠

وفي الوقت نفسه صمم المتآمرون الفاشيون على أنهم لن يستطيعوا الانتظار أكثر من ذلك ، لذلك قرروا بحث اجتماع للمجلس الفاشيستي الأعلى الذى يعتبر أعلى سلطة دستورية في البلاد ، والتى لم يجتمع منذ اعلان الحرب ٠ وفي ١٦ من يولية صمم عدد كبير من كبار الرسميين في الحـــــزب الفاشى قبل غزو سيشيل على ضرورة عقد اجتماع للمجلس للحصول على تقرير عن الأوضاع العامة من موسوليني ، وهى الأوضـــاع التى اخذت تزداد سوءا يوما بعد يوم ٠ وقد رفض موسوليني في بـــداية الأمر ، ولكنه عاد ووافق على ذلك وحدد يوما لذلك هو يوم السبت ٢٤ من يولية ٠

وفي يوم الاثنين من ذلك الاســـــبوع طلب هتلر من موسوليني الاجتماع به مرة أخرى في ايطاليا لأمر هام وعاجل ٠ وكان هتلر قد بدأ يشعر بالقلق والخوف نتيجة التقارير التى كانت ترد اليه عن الشعور المعادى لالمانيا في ايطاليا وعن القوات الايطالية التى تستسلم بالجملة في صقلية ، وعن رفضها التعاون مع الجيش الالماني ، لذلك كان يأمل أن يشد من أزر المقاومة الايطالية عن طريق حض الدوتشي على الموافقة على وضع جميع القوات الايطالية تحت القيادة الالمانية العليا ٠

وبناء على هذه الدعوة طار موسوليني في طائرته الخاصة من رميني الى تريفيسو حيث قابل هتلر في المطار وصحبه الى فيللا عضو مجلس الشيوخ « اشيللى جاجيا» في « فلترى » التى على المنحدرات الجنوبيـــة لمقاطعة دولومايت ٠ وكان جو الاجتماع رسميا للغاية ٠

وكان هذا الاجتماع هو الاجتماع الثالث عشر لهما وسار فى الاتجاه الذى كانت جميع الاجتماعات السابقة تسير عليه : استمر هتلر يتحدث ثلاث ساعات حديثا صريحا ومباشرا ۰ وكان أمامهما شيء واحد فقـــط لعمله وهو الاستمرار فى الحرب فى ايطاليا وروسيا أيضا حتى ينتصر المحـــور ۰ وكان هذا القرار يتطلب المزيد من التضحيات : فقد جندت ألمانيا الأولاد الذين يبلغون الخامسة عشرة من عمرهم للعمل على البطاريات المضادة للطائرات ۰ أما فى ايطاليـــا فقد كان الموقف يختلف عن ذلك كثيرا ۰ فلم تقم القوات بالمساهمة فى الحرب كما يجب ، كما أن الادارة المدنية لم تكن تلاقى احتراما كافيا ، وأصبح الشعب يتقبل روح الهزيمة بقبول وراحة وهدوء ، لذلك يجب اتباع وسائل عنيفة ومختلفة للتغلب على هذه الاوضاع ، كما يجب اعدام الجبناء والخونة وغير القـــادرين على الوقوف فى الميدان ۰

وكان موسولينى يجلس مستمعا الى هذا الحديث بصمت وقد عقد يديه على صدره ووضع احدى رجليه على الأخرى ، ولم يتحدث ســـوى مرتين : مرة لتصحيح بعض التفسيرات الخاطئة بالنسبة لسكان كورسيكا ، ومرة أخرى عندما حضر سكرتيره الخاص ليقدم له ورقة ، وأعلن بأسى « أن الأعداء فى هذه اللحظة يقومون بهجوم جوى عنيف على روما » ۰

وبعد مناقشة بسيطة عن الغارة الجوية استأنف هتلر حديثه على حين كان من الواضح جدا أن موسولينى لم يعد يستمع اليه بالمـــرة ۰ وحينما انتهى الحديث وانتقل الجميع للغداء انحنى موسولينى على سفيره فى برلين وقال : « اننى أشعر بألم وحزن عميقين لبعدى فى هذا الوقت عن روما ، ماذا يظن أهالى روما الآن ؟ » ولـكن الأعضاء الثـلاثة المرافقين له ــ باستيانينى وكيل وزارة الخارجية والفيبرا سفير ايطاليا فى برلين ، والجنرال امبرسيو رئيس أركان حرب الجيش ــ لم يكونوا مهتمين بمـا يقوله أهالى روما ، وانما ركزوا اهتمامهم على الضغط على الدوتشى للرد على اتهامات الفوهرر ، واخباره بأن ايطاليا قد أصبحت على حافة الهاوية ولا تستطيع أن تواصل الحرب ما لم تتلق مساعدات ضخمة فى جميع الميادين ۰

وخلال عودة موسولينى من تريفيزو ، كان الوفد الايطالى فى هذا المؤتمر لا يعرف ماذا جرى من حديث بين الدوتشى والفوهرر عندما تركا وحدهما بعد الغداء ۰ وكل ماذكره ماكنزن سفير المـــانيا فى ايطاليا أنه على ثقة من أن الزعيمين سوف يتوصلان الى قرارات فى غاية الأهميـــة بالنسبة للموقف وللعلاقات بين البلدين ۰ وظل الجميع يراقبون الرجلين وهما يخرجان من محطة تريفيزو ويستقلان العربة التى أقلتهما الى المطار وكان كلاهما يبدو فى حالة هدوء ورضاء تام ۰

وركب هتلر طائرته عائدا الى ألمانيا ، على حين وقف موسولينى فى كامل انتباهه وهو يحييه التحية الرومانية المعروفة ، ثم تحول موسولينى فجأة وأسرع الى طائرته الخاصة فى الوقت الذى أسرع فيه المرافقـــون الثـــلاثة اليه ــ امبرسيو والفيبرى ، وباستيانينى ۰ وكان موسولينى يحاول أن يتجنبهم ، فى حين كان الفيبرى يخشى أن تفلت الفرصة دون

ان يذكر موسوليني أي شيء فتغلب على خـــوفه وذهب الى موسوليني وسأله : هل هناك أية تعليمات يرغب فى اصدارها قبل أن يعـــود الى السفارة فى برلين ، فنحاه موسوليني جانبا وقال له : « انني لست فى حاجة الآن للتحدث الى هتلر بالطريقة التى اقترحتها ، لأن هتلر نفسه قد وعد بكل اخلاص أن يرسل جميع المساعدات التى طلبناها منه • ويجب أن تكون طلباتنا هذه المرة معقولة ومناسبة للظروف • »

ولكن هذا الوضع كان وهما كبيرا ، فقد عرف امبرسيو من أحاديث المارشال كيتل أن جميع المطالب المعقولة التى تقدم بها الايطاليون لــن تتحقق مالم يوافق الدوتشى على الشروط التى رفضها من قبل رفضـــا قاطعا • وكان يشعر ان موسوليني كان يرفض أن يواجه مشكلاته ، وأن موسوليني لن يستطيع أن يقدم على تنفيذ تهديده للألمان ويوقع اتفاقية صلح مع الدول المتحالفة وبذلك آمن أن السبيل الوحيد هو ازاحـــة موسوليني عن السلطان •

- ٢ -

وبعد عودة موسوليني من فيلترى ، توجه موسوليني مباشرة الى الملك لتقديم تقرير اليه عما تم فى هذا الاجتماع • وقبل أن يغادر القصر أخبر السناتور منليو مورجانى رئيس وكالة استفانى للأنباء « ان الألمان مازالوا أقوياء لدرجة يستطيعون معها الوقوف فى وجه أى تيار فى العالم حتى حل الموقففى ايطاليا نفسها، ولكن لكى يقوموابذلك يريدونالسيطرة التامة لا فى الجبهة الايطالية فقط بل على الوضع الداخلى أيضا • وهذا شرط لا يرضاه الشعب ولا الملك وكذلك أنا •

وكان امبرسيو قد أخبره من قبل ما ذكر هتلر فى اجتماع فيلترى، وأكد للملك أن موسوليني كان يبدو غير قـــادر من الوجهتين الصحية والأدبية على عرض المأساة الايطالية على حقيقتها فى هذا الاجتماع •

ثم أشار الى ازدياد الشعور المعادى للدوتشى فى ايطاليا ، وتعدد المؤامرات التى تحاك حوله •

وبعد مرور عدة ســاعات أخطر روبرتو فاريناتشي موسوليني أن كلا من البلاط الملكي والكونت جراندى يدبر مؤامرة للاطاحة به حتى يمكن الانفصال عن ألمانيا • فرد موسوليني قائلا : « ان هذا مستحيل لأن الملك نفسه أكد وقوفه بجانبي ومساندته لى بعد ماقدمته لايطاليـــا من خدمات» ثم جاء سكورزا — وحذره تحذيرا آخر انه قد اســـتمع الى محادثة تليفونية بين بادوليو والدوق ذى اكواورون ، ولكن موسوليني رفض أنيسمع مادار من حديث، ونعت هؤلاء الأشخاص بالجبن والنذالة.

وفى مساء هذا اليوم نفسه ذهب موسوليني ليشاهد بنفسه ماأحدثته غارة يوم ١٩ من يولية من خراب ودمار فى أحياء روما ، وكان الدخان والأتربة ينبعثان من الحطام الذى اسفرت عنه الغـــارة ، وكان الدوتشى ينظر الى كل هذا بألم وأسى ويأس • وكانت هذه القنابل هى الفتيل الأول الذى خلق المؤامرات وقوى مركزها وهداها الطريق • وبذلك لم

يعد أى انسان يفكر الا فى حبك المؤمرات وتنسيق الخطط · ولم يكن، هناك أى انسان يتوقع ماسوف يحدث ، بالطريقة التى لم يكن يعرف أى انسان مايجب أن يحدث بها ·

وقد ذكر باستيانينى أن موسولينى قد دفع ايطاليا الى الانهيار والخراب ، على حين أكد فيتوريوسينى وزير المواصلات أن موسولينى قد ذهب عقله لذلك يجب ابعاده عن كرسي الحكم وقد ظل شيانو فى صمته وخططه السرية على أساس أنه الخليفة الوحيد لكرسى موسولينى ·

وكانت كل هذه الاتجاهات والآراء تدل دلالة قاطعة على قرب حلول الكارثة بالدوتشى ··· كانت روما نفسها تختنق وتتململ من اليأس، والأمل الذى يراودها وتتوقع حدوث مأساة أكبر فى أداة الحكم ·

الفصل الثالث

اجتماع المجلس الأعلى

٢٤ - ٢٥ من يولية ١٩٤٣

لقـــد حضرت الى روما لكى احتفظ
بالسلطة والحكم أطول مدة ممكنة ·

- ١ -

فى مساء يوم ٢١ من يوليه توجه دينو جراندى الى شارع فردناند ودى‌سافوى لمقابلة «فدرزوني» رئيس الأكاديمية الايطالية فى ذلك الوقت، وسلمه نسخة من مشروع القرار الذى كان يهـــدف الى تقديمه للمجلس الأعلى فى الاجتماع الذى تقرر عقده ·

وكان مشروع القرار يبدو فى أول نظرة غـــير ضار ، فى الفاظه والنقاط التى عالجها ، ولم يخرج عن ذلك سوى الجملة الأخيرة التى كانت تطالب « باعادة جميع سلطات الدولة على الفـور الى اختصاصات الملك ، والمجلس الأعلى والحكومة والبرلمان والهيئات ، وتوزيـــع المسئوليات كل فيما يخصه على حسب ما نصت عليه جميع اللوائح والقوانين الدستورية» وطالب هذا القرار بضرورة تسليم جميع سلطات القوات المسلحة العليـــا وتوجيهها الى الملك · وكان هذا يعنى أن يسلم موسولينى جميع سلطاته الحالية ويكتفى بالسلطات التنفيذية فقط ·

وقرأ فدرزونى هذه الورقة بصمت وحذر ، على حين كان جراندى يراقبه باهتمام وهدوء خشية أن يكون قد تسرع فى تسليمه صورة هذا القرار ، ولكنه استراح عندما سمع فدرزونى يقول : «علينا أن نحاول كل شيء وأى شيء حتى المستحيل ، لكى ننقذ الأمة من الدمار الشامل · فاذا فشلنا فى محاولتنا فان تضحيتنا سوف تكون الشعلة التى تلهب مشاعر الثوار وتثير حماس الشعب » ·

وبعد أن شعر جراندى بقوة مساندة فدرزونى اتجه بعـد ذلك الى جيوسيبى بوتاى وجيوسيبى باستيانينى ، واومبرتو البينى وهم من أكبر أعضاء المجلس الأعلى نفوذا وقوة · ووافق الجميع على مساندة هذا القرار فى الاجتماع وكان جراندى يشـــعر بارتياح كبير عنـــدما وعده بوتاى بمساعدته لأنه كان على ثقة من أن هذا الرجل لا يتأرجح ولا يغير من رأيه ، وأنه لن يتوقف عن مساندة هـــذا القرار عنـــدما يتطلب ذلك مواجهة موسولينى فى اجتماع المجلس الأعلى · ولكنه فى الوقت نفســه لم يكن واثقا من موقف باستيانينى ، والبينى ، وذلك لأن باستيانينى الذى خلف

شيانو فى وزارة الخارجية لم يكن يشارك بوتاى فى حماسته ورأيه ضد الدوتشى ولكنه كان مقتنعا فى الوقت نفسه بأن الحرب سوف تقـــود ايطاليا الى الدمار ، وأن تغيير موسولينى كرئيس للحكومة ســوف يخلق امكانية للتفاهم من أجل اقرار اتفاقية صلح منفصلة ٠ وعلى هذا الأساس أقام عدة اتصالات مع السفارات المحايدة فى روما بقصد معرفة رأيها فى هذا الموضوع ٠ وكان حريصا ودقيقا ومنظما فى خطواته وتصرفاته لذلك لم يكن يوجه اتهامات عنيفة أو قوية ضد الدوتشى فى الاجتماع وكان يبدو أنه لن يصوت من أجل مشروع قرار جراندى ٠

أما البينى الذى تولى وزارة الداخلية محل جويدى فكان مقتنعا تماما بأن الجبهة الداخلية قد أصيبت بنكسة قوية ، وأن البلاد فى طريقها الى الانهيار والضياع ، لذلك يجب تغيير موسولينى ، ولكنه فى الوقت نفسه لايجرؤ على انتهاج موقف عدوانى ضد موسولينى ، واعتمد فى ذلك على بوتاى ٠ ولم ينتهج البينى وباستيانينى هذا الموقف وحدهما ، وانمـــا سار فى اتجاههما عدد كبير من أعضاء المجلس الأعلى ٠

وقد فوجىء جراندى بأن كارلو سكورزا سكرتير الحزب الفاشيستى يوافق على هذا القرار يوم ٢١ من يوليه فى مركز الحزب الفاشستى ، ولكنه اتخذ لنفسه الحيطة بأن طالب بأن تنقـــل نســخة من هذا القرار الى موسولينى نفسه ، عندما يذهب اليه فى ظهر هذا اليـــوم لتقديم تقريره اليومى المعتاد ٠

وقد قرأ موسولينى هذا القرار بسرعة ولم يعلق عليه وتركه جانبا فى حقيبة التقارير الخاصة ٠ وعندما غادر ســكورزا بلازو فينيســـيا وضع لنفسه قرارا آخر كان يهـــدف الى تقديمه للمجلس الأعلى كبديل لمشروع قرار جراندى ٠

- ٢ -

وبعـــد أن تيقن جراندى أنه حصـــل على تأييد كل من فدرزونى وبوتاس ، وباستيانينى ، والبينى ، والى حد ما سكورزا ، توجه الى مقابلة الدوتشى ٠ ولم يكن يرغب فى أن يتحول الى متآمر ، لأنه كان على ثقة من أنه سوف يستطيع أن يحمل موسولينى على قبول معظم ما ورد فى قراره ٠

وفى الساعة الخامسة من مساء ٢٢ من يوليه ١٩٤٣ اســـتقبل موسولينى الســـنيور جراندى فى قاعة الخرائط « ماباموندو » فى قصر بلازو فينيسيا ، وكان الدوتشى يقف وراء مكتبه الضخم يراقب جراندى ببرود وسلبية مطلقة كلما اقترب منه ٠ ولم يطلب منه أن يجلس بل جعل جراندى يقرأ عليه القرار ويطالب الدوتشى بتأييده ٠ وظـــل موسولينى يستمع اليه وهو يراقب تعبيرات وجهه وانفعالاته دون أن يقاطعه ٠ وبعد أن انتهى الكونت جراندى طلب منه موسولينى أن يتركه وقال له : «سوف نلتقى فى المجلس الأعلى » ٠٠

وعند خروج جراندى مر بحجرة الاجتماعات حيث شاهد خدم القصر يضعون المقاعد وينظمون أماكن جلوس الأعضـــاء ٠ وكان الفيلد مارشال كيسيلرنـــج يجلس على أحد المقـــاعد منتظرا الاذن له بالدخول لمقابلة الدوتشى ٠

وفى مساء اليوم السابق للاجتماع طلب بوتاى من جراندى وشيانو الاجتماع به فى منزله • وكان ضيفاه فى غاية الضيق والملل ، لذلك لم يستطع الثلاثة الاتفاق على سياسة موحدة ، فقد كان يبدو أن شيانو يشك فى أن جراندى يرغب فى عزل موسولينى حتى يحتل مقعده أو يمنحه فدرزونى ، على حين كان جراندى يشعر بأن شيانو قد يتغير فى أية لحظة الى موسولينى والد زوجته ، وكان بوتاى يعتقد أنه من الضرورى وضع جميع السلطات السياسية التى تسحب من موسولينى فى أيدى الملك والقوات المسلحة « المجلس الاعلى » ولكن الآخرين لم يكونوا يؤمنون بهذه الفكرة •

واستمرت المحادثات بين الرجال فترة طويلة دون الوصول الى رأى حاسم ، وعندما غادر شيانو المكان ، لم يكن بوتاى أو جراندى على ثقة من ان شيانو سوف يؤيد موقفهما •

وعندما حان صباح اليوم التالى كان شيانو قد استقر على رأى • وفى ظهر اليوم نفسه استدعى دينو الفييرى سفير ايطاليا فى برلين لحضور الاجتماع فى مساء هذا اليوم نفسه ، ولمقابلة المسئولين فى وزارة الخارجية ، وعندما وصل روما قابل باستيانينى حيث وجده صامتا ومشغولا ، ثم اجتمع بعد ذلك بالكونت شيانو الذى عمل على ازالة جو الوجوم والصمت ، وخلق روح من الود والصداقة • وقال شيانو فى ذلك الوقت موجها الحديث الى الفييرى : « اننى جد مسرور لحضورك اليوم • لقد اتفقنا على أن نعمل المستحيل من أجل انقاذ ايطاليا » •• « انه ــ ذو الرأس الضخم ــ يرفض أن يتفهم الأوضاع على حقيقتها • أما اليوم فقد قررنا أن نتكلم بكل صراحة وأن نجعله يفهم الموقف تماما فى اجتماعات المجلس الأعلى » •

وأخبر شيانو السفير الفييرى أنه كان فى طريقه لابلاغ موافقته بالتأييد لجراندى ، وطلب منه أن يقف الموقف نفسه • ووجد جراندى مرتديا ملابس رياضية فى مكتبه بمجلس النواب ، فاستقبلهما بحرارة وقدم اليهما نسخة من مشروع القرار • وقرأه الفييرى بسرعة وأعلن انه يرى فيه الاعتدال والأدب ، ولكنه يود أن يستفسر عن نقطتين • ولكن شيانو قال له : آن هذا المشروع ليس الا مذكرة سوف يدخل عليها عدة تعديلات فى أثناء المناقشة « وسوف نعامل الدوتشى بكل احترام وأدب كما هى عادتنا دائما » •

وعلى هذا الأساس وافق الفييرى وأدرج جراندى اسمه بالقلم الأزرق فى أسفل قائمة المؤيدين • وكان جراندى لا يثق أبدا فى أن جميع هذه الأسماء سوف تؤيده فى المجلس سوى فدرزونى فقط لذلك بدأ يفكر فى امكانية القيام بانقلاب وذلك بعد أن أصبح يخشى أن يقوم الدوتشى بالقاء القبض عليه بعد أن عرف موقفه تماما وتحريضه لكبار رجال الدولة ، وكان على ثقة تامة بانه لو تم القبض عليه لابتعد عنه جميع مؤيديه ، ولانضموا جميعا الى جانب الدوتشى مهما يحدث بعد ذلك •

وعندما ارتدى جراندى القميص الأسود الذى عرف باسم «الصحراء» Sahariana والذى أمر موسولينى جميع أعضاء المجلس بارتدائه ،

وضع مسدسا صغيرا فى جيب سرواله ، وعدة قنابل يدوية فى حقيبة يده . وفى الساعة الرابعة والنصف ترك منزله متجها الى قصر بلازو فينيسيا حيث وجد عدة مجموعات صغيرة من جنود الميليشيا الفاشية فى الساحة الداخلية للقصر ، وآخرين داخل القصر نفسه . وفى هذه اللحظة فكر الكونت جراندى ان هذه هى النهاية بالنسبة للجميع ، وبدأ يشعر أنه لن يخرج حيا من هذا الاجتماع !

وكان موسولينى يجلس منذ فترة فى مكتبه بعد أن تناول غداءه كالمعتاد مع زوجته راشيل فى فيللا تورلونيا . وكان كل شيء يبدو عاديا ، ولم يكن يقلقه سوى الدبابات الامريكية الجديدة التى بدأت تظهر فى ميادين الحرب . وعندما ترك الفيللا فى طريقه الى الاجتماع طلبت منه راشيل أن يقبض على جميع الذين تآمروا ضده قبل افتتاح الجلسة ، ولكنه لم يرد عليها بل قبلها واستقل سيارته الى المجلس .

وعندما بدأ الاجتماع انتقل الى القاعة وهو ممتلىء بالثقة والاعتداد بالنفس ، فلم ينظر الى الاعضاء الذين قفزوا على أقدامهم وقوفا حينما دخل عليهم وحينما صاح سكورزا « ليحى الدوتشى » . ولكنه لم يبد أى أثر لهذه التحية التقليدية الموجهة الى زعيم الفاشسية فى ايطاليا . وجلس أمام المنضدة المخصصة له يستمع الى سكورزا وهو ينادى الحاضرين ، وبدأ يسحب بعض الاوراق التى وضعها أمامه رئيس ديوان التشريفات . وكان يرتدى بعكس الآخرين البدلة الرسمية الخضراء التى ترتديها القوات غير النظامية الفاشية ،وكان هذا يدل على عظمة موسولينى وانتمائه الى فئة اخرى غير الفئة التى يجلس بينها . وكان موسولينى يرمق الحاضرين من مقعده المرتفع بنظرات ثاقبة تدل على مدى قوة الشخصية وتسلطها ،وهذا ما جعل بوتاى يرتعد ويخشى أن تكون الفاشية قد بعثت من جديد .

وكان غالبية الحاضرين من الاعضاء ينظرون اليه على انه اعظم ابن أنجبته ايطاليا على حين كانت هناك فئة قليلة تعارض هذا الرأى ، وفئة ثالثة لا تعرف طريقها . ولكن موسولينى كان قد أصبح يعيش بانطباعات الماضى وهى : الطاعة العمياء ، والتملق ، والثقة المطلقة . وكانت الشعارات التى تلصق على الحوائط تقول ـ « ان موسولينى على حق دائما » ـ لا تعتبر نوعا من الاعجاب بعظمة زعيم الشعب ، ولكنها كانت تعتبر حقيقة واقعة لا يمكن انكارها . وقد أدت هذه الثقة بالعظمة الذاتية ، وبالصيانة من الزلل ، وبالتفوق المطلق على جميع الايطاليين ـ أدت جميعها الى عدم استطاعته التمييز بين ما يقدمه المخلصون له من ولاء وصدق وخدمات ، وبين الأخطار التى يخلقهاحوله المعادون له ، والذين يعتقدون أنه يؤدى اعمالا لا تمت الى العقل والمنطق بصلة . ولم يهتم موسولينى فى ذلك الوقت باعداد خطبة يفتتح بها أعمال المجلس ، لأنه كان على ثقة تامة بأن صوته يكفى تماما لاخراس أصوات المعارضين له .

وابتدأ خطابه بصوت جهورى يشبه المدرس الذى يقوم بالقاء محاضرة يحفظها عن ظهر قلب ، فقال : « لقد دخلت الحرب مرحلة حرجة خطرة لقد أصبح المستحيل ممكنا حتى بعد دخول الولايات

المتحدة الحرب في منطقة البحر الابيض . لقد بدات الحرب الحقيقية تشق طريقها بعنف وقسوة وفي هذا الوقت الحرج بالذات بدات اتجاهات الرأى الرسمية وغير الرسمية ، المعروفة والسرية تعادى النظام القائم وتعادينا .. »

وكانت خطبة طويلة دلت على مقدرة موسوليني الخطابية الفذة : فكان يمتدح ويذم ويمنح الصفات الطيبة ثم يتهم ، ويبرر تصرفاته ثم ينحرف في حديثه ، وكان يتحدث دون النظر الى مدى الاقتناع او الصدق . وكان في الوقت نفسه يضغط بيده على معدته التى اخذت تؤلمه من جديد .

ثم تناول موسوليني جميع الأمور الحالية من جميع زواياها فتحدث عن موقف الالمان ، وامتدح مساعدتهم الفنية والمادية لايطاليا ، ولكنه لم يذكر الثمن الذى دفعته ايطاليا ، وتحدث عن اطماع بريطانيا فذكر انها تنظر الى المستقبل لمدة قرن على الاقل لكى تحتفظ لنفسها بالاكلات الخمس اليومية وتحدث عن الحرب والسلام ، وعن الاستسلام او المقاومة حتى النهاية ، وتحدث عن السبب في عدم تخليه عن قيادة القوات المسلحة في الميدان وهو مريض مؤكدا انه لا يستطيع ان يترك السفينة وسط العواصف والازمات ، وتحدث عن اطماع انجلترا في احتلال ايطاليا . واستمر يتحدث هكذا زهاء الساعتين في حين كان أعضاء المجلس ينظرون اليه في سكون ووجل وعندما انتهى تماما من كلمته سقط مغشيا عليه . وقد كتب الفيبرى بعد ذلك عن مدى خيبة الأمل التى أصيب بها الحاضرون بعد ان انتهى من حديثه . وكان هذا الحديث في نظرهم اضعف تفسير تحدث به موسوليني في حياته . ولكنه كان في الوقت نفسه فصل الخطاب .

وقد ساد القاعة لاغماء الدوتشي وجوم وصمت لعدة لحظات ، واخيرا وقف المارشال دى بونو وهاجم بطريقة مقنعة السياسيين الذين يلومون قادة الجيش ، على حين يجب أن يوجه اليهم اللوم هم أنفسهم لانهم هم الذين اختاروا هؤلاء القادة . وكان هذا الراى تعبيرا عن رأى زميله الملكى دى فيتشى الذى وقف وايده ، ولكنه في الوقت نفسه وضع بعض الملاحظات بشأن حلفاء ايطاليا الالمان .

وفي هذه اللحظة اعترض روبيرتو فاريناتشي على هذه الاقوال وامتدح قوة الالمان وعزيمتهم ، واستمر هذا الصراع وكيل التهم وتبادلها بين الاعضاء الى أن وقف بوتاى بعد ان تيقن أن الاجتماع يهدد بالفوضى ، واعترض على وقوف دى فيتشى والتحدث في أول الأمر . وقد استمع الاعضاء الآخرون لكلمته ، وعرفوا أن هذه اول مرة ينتقد الاعضاء موسوليني في حضرته . وكان موسوليني قد استعاد وعيه من لحظة وبدأ يراقب التهم .

وبعد أن القى بوتاى كلمته تشجع بقية الاعضاء وطلبوا الحديث وفي هذا الوقت نفسه تكلم الكونت جراندى وجلس الباقون يستمعون اليه وهو يقول : « اننى سوف اكرر امام المجلس الاعلى ما سبق أن ذكرته للدوتشي أول أمس » ..

وسحب صورة من القرار الذى وضعه وأخذ يتلوه بصوت واضح وهادىء ، وعندما انتهي من تلاوته تغيرت لهجته ، وأصبح صوته يقطر عنفا وقوة وفصـــاحة : فتحدث بمرارة عن : « الحرب الفاشية التى فرضـــت القيود ووضــعت العراقيل » وعن تصميم السلطات العنيف الذى لامبرر له على مراقبة بعض الرســـميات ، وعن اســـتمرار خلق لوائح وقوانين جديدة ، ووأد الحريات الشـــخصية ووجه حديثه الى موسولينى قائلا : « لقد فرضـــت الدكتاتورية على ايطاليا ، وهو عمل لا يتمشى مع تاريخ أمتنا العظيمة . لقد وضــعت وزارات الخدمات الثلاث فى يدك لعدة سنوات طويلة ،وماذا فعلت ؟لقد دمرت روح قواتنا المسلحة وخنقت شخصياتنا فى هذه الملابس الجنائزية . وكنت عندما تختار احد اتباعك للمناصب الكبرى تختار أسواهم . »

واستمرجراندى يتحدث اكثر من ساعة ،على حين كان موسولينى يسمع وهو جالس فى صـمت . وكان بوتاى يظن ان موسولينى ينظر حوله فى يأس ، ولكنه كان فى الواقع يحاول أن يحول نظره عن الاضواء الشديدة المنبعثـــة من الثريا المعلقة فى السقف حتى لايصاب باغمـاء . وعندما توقف جراندى عن الـكلام القى بنفسه على مقعده وقد ابيض وجهه ،واخذ العرق يتصبب على جبينه فاضطر ان ينزع ياقة قميصه المنشاة .

وفى هذه اللحظة قرر شيانو أن يتحدث . وتحدث بصوت رقيق أملته عليه رابطة المصاهرة . وتحدث عن الروابط الالمانية ــ الايطالية ودوافعها ، ولكنه حينما أنهى حديثه لم يترك اى مجال للشـك فى انه سوف يؤيد مشروع قرار جراندى . وعند ماانتهى تمـاما وقف فاريناتشى وعارض معظم ما ذكره شيانو ، ودافع عن موقف الالمان بكل شدة ، ثم قدم للمجلس مشروعا بديلا لمشروع قرار جراندى يعلن فيه تضـــامن الحزب الفاشى الايطالى مع الحزب الاشـتراكى القومى الالمانى وطلب من رئيس الحكومة أن يتقدم بطلب الى الملك يطلبمنه فيه تولى سلطة القيادة العليا على جميع القــوات المســلحة حتى « نظهر أمام العالم اجمع بان الشـــعب باكمله يحارب متحدا تحت قيادته من أجل تحرير وكرامة ايطاليا » .

وكان هدف فاريناتشى من وراء ذلك هو أن يعمل الملك فيما بعـد على تخويل هذه السلطة للمارشال الالمانى كيسيلرنج . وبالرغم من ان الهدف كان مختلفا معهدف جراندى فقد اتفق الاثنان على هذه النقطة وهى ضرورة خروج موسولينى .

وباستمرار الوقت أصبح من الواضح أن أغلبية أعضــاء المجلس يعتنقون هذه الفكرة ،على حين كانت البقية الباقية على استعداد لتأييد هذا القرار وفى منتصف الليل كانت المناقشــات قد انهكت الاعضــاء فتحرك موسولينى وعليه سمات الاعياء الشديدة وقال :« ما فائدة هذه المحاولات الآن ونحن نقف وحيدين وجها لوجه مع ثلاث امبراطوريات ؟ » واقترح على سكورزا أن يؤجل الاجتماع حتى اليوم الثانى لانه ليس على مايرام ويود ان يستريح .

وعاد جراندى بعد ذلك لمهاجمته بعنف قـال : « فى الماضى كنت تبقينا هنا حتى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى لبحث موضوعات تافهة ، اننا لن نترك هذا المكان حتى يتم بحث مشروع القرار الذى تقدمت به والتصويت عليه . » ووافق على تأجيل الاجتماع لمـــدة عشر دقائق لا أكثر.

وافق موســوليني على هذا الطلب بعد ان سـقطت شخصيته الدكتاتورية . وترك بعد ذلك غرفة الاجتماع الى مكتبه الخاص كشخصية لفظها المجتمع وهجرها المجموع . وعندما مر بســفير ايطاليا فى برلين قال له : « تعال يا الفيبرى » . وعندما ذهب اليه الفيبرى » كرر عليه ما ســبق ان قاله فى اجتماع فيلترى وفى تقـأريره اليه عن العلامات الواضحة فى قلق الشعب الالمانى . وعن تعصبهم القاتل ، وخوفهم من الجستابو ، واعتقادهم فى دعاية جوبلز . وأكد أن الشعب الالمـانى فى برلين يتـابع الاحداث هنـا بكل اهتمام ويشــعر بأن التطورات العسـكرية فى ايطاليا ، قد جعلت الموقف الداخلى فى وضع لا يحسد عليه » .

فسـأله موسولينى بحدة قائلا : « من أخبرك هذا ؟ » فرد عليه الفيبرى قائلا : « ان هذا هو الرأى العام السائد فى برلين ، وقد أكد هذا الرأى كثيرون من ذوى الرأى فى ألمانيا » . ولكن موســوليني رفض قبول هذا الرأى وهذه الحقيقة ، وقال : ان الالمان قد أساءوا التفســير لأن القاء القنابل على مدينة روما والمدن الايطالية الكبرى لها آثار طيبة على الشـعب الايطالى ، اذ انها سوف تشجع وتخلق نوعا من البطولة تساعد الرجال الا يهتموا بالمخاطر ، صدقنى لقد ضللت التقارير الكاذبة انقادة الالمان . ان الزمن ما زال فى مصلحتنا .

وانتهت فترة الراحة ، ولكنها أعادت الثقةالضائعة الى موسولينى وعندما قام جالبياتي والقى خطابا ناريا فى مصلحة موســولينى صائحا بأن الشعب الايطالى قد اتحد والتف حولالدوتشى ، قرر موسولينى أن يلقى بيانا آخر . وقال موسولينى بغضب مفاجىء : « من بين التهم التى وجهت الى النظـام القـائم وجود عدد كبير من الاشخاص الذين أثروا ثراء فاحشا ، وأمامى الآن أسماء هؤلاء الاشـخاص الذين تـكفى الاتهامات الموجهة اليهم لارسالهم الى المشانق ، وأنت بالذاتياشيانو اكبر هؤلاء الأشخاص .

وقد شـجعت كلمات موسولينى سكورزا فنهض واقفا وتحدث بطريقة غامضة معلنا بأن الخطأ الوحيد الذى ارتكبه الدوتشى فى حياته هو أنه لم يكن دكتاتورا بالمعنى الحرفى الكلمة ، وحـاول أن يجعـل دكتاتورية الحزب الفاشيستى أكثر قوة وعنفا .

وبهذا الشـكل بدأ الاجتماع يفقد نظامه ، فقد كان كل شخص يتحدث ويقاطع الأخر فى الوقت نفسه ،وأعلن موسولينى فى هذا الوقت أن فى يده مفتاح الوضع العسكرى ،ولكنه لنيخبر أى انسان عن ماهية هذا المفتاح . وقال : « اذا حاولتم أن تتخلصوا منى ، فاننى سـوف اضطر أن أعلن أمامكم عن السلاح السرى الذى سوف ينهى هـذه الحرب

لذلك فانكم سوف تفقدون الحرب وتفقدونني في الوقت نفسه وتفقدون رءوسكم » . وكان فارينانشي ينظر اليه في هذه اللحظة نظرة اعجاب وتعجب ، في حين غمغم جراندي بأن هذا الكلام يعتبر « تهديدا واستغلالا » .

وفي هذه اللحظة وقف الكونت جياكومو سواردو رئيس مجلس الشيوخ وأعلن انه قد قرر سحب تأييده لقرار جراندي ، وطلب من الاعضاء الاخرين الانضمام اليه لتأييد مشروع قرار سكورزا . وبذلك خلق الكونت جوا من الذبذبة والتأرجح : فقد أعلن توليو شيانيتي وزير المؤسسات والهيئات انه يوافق على هذا الرأي ، وظهر التأرجح التام على شيانو الذي طالب بتكوين لجنة خاصة لدراسة اقتراحي جراندي وسكورزا واعداد مشروع آخر يضم أهم نقاط تضمنها المشروعان ولكن بوتاي اعترض على هذا الاقتراح ،وطالب بضرورة العمل السريع، وقبل أن يتم حديثه وقف بولفيرللي متحدثا بصوت يدل على قوة اخلاصه لموسوليني .

ثم تحدث جراندي مرة اخرى ، وكان يواجه عدة اعتراضات من « بيجيني » ووقف كارلو بارتشي وزير الزراعةيعلن مساندتهلجراندي . ولكن جراندي بدأيعترف بانهيار موقفه اذ بدأ مؤيدو سكورزا يتزايدون مطالبين باستمرار الحرب ، والاخلاص التام للنظام الفاشيستي القائم في البلاد ، والتحالف مع المحور .

وفي حوالى الساعةالثانية والربع صباحا قاطعموسوليني المناقشة فجأة قائلا بصوت فظ غليظ : «لقد استمرت المناقشةأكثر من اللازم ، واصبح أمامكم الآن ثلاثة مشروعات بقرار عليكم انتختاروا أحدهاعلى ان يكون لمشروع جراندي الأسبقية عند اخذ الاصوات . اقرأ الاسماء يا سكورزا » .

وحينما كان سكورزا يقرأ الاسماء من قائمة الحاضرين كان موسوليني يميل بكرسيه الى الامام وقد وضع يديه على المنضدة التي أمامه . وهو يحملق في كل عضو يعطي صوته . وكان يحاول أن يخرق بنظراته عقول الاعضاء كما لو كان يحاول ان يؤثر في قراراتهم بهذه النظرات . وكان قد حضر الجلسة ثمانية وعشرون عضوا كان الوحيد الذي امتنع عن اعطاء صوته الكونت سواردو ، على حين وقف سكورزا معارضا للقرار كما فعل أيضا الشيء نفسه كل من بولفيرللي ، وبوفاريني جويدو ، وجالبياتي .أما فاريناتشي .فقد صوت لقراره الخاص . وأعطى ثمانية عشر عضوا قرار جراندي أصواتهم .

ونتيجة لهذا وقف موسوليني بعصبية وجمع أوراقه ، وفي هذه اللحظة وقف سكورزا وهتف « تحية للدوتشي » ولكن الدوتشي قال بصوت منخفض : « انني أعفيكم من هذا » . وعندما وصل الى الباب قال بصوت يمتلىء مرارة وحزنا : « لقد فتحتم الباب أمام انهيار النظام القائم » . ثم توجه بعد ذلك الى حجرة الخرائط حيث لحق به بعدذلك كل من بولفيرللي ، وجالبياتي ، وجويدي ، وسكورزا . واقترح جالبياتي أن يصدر الدوتشي اوامره بالقاء القبض على «الخونة» ولكن موسوليني

كان في حالة ذهول لدرجة لم يستطع ان ينبس بأية كلمة . وكان يقاطع حديثهم قائلا : « ان السادة الذين يجلسون هناك للتحدث عن السلام لا يعرفون ان تشرشل وروزفلت يرغبان في الاطاحة بايطاليا وتحطيم شوكتها كقوة أكبر في البحر الابيض المتوسط ... وبدون وجودى لايكون هناك سلام بل انهزام وخضوع » .

وفي الساعة الخامسة قرر موسوليني ان يذهب الى منزله لانه يشعر بتعب تام وطلب من سكورزا ان يرافقه .

وقد كتب موسوليني فيما بعد يقول : « كانت الشوارع خالية تماما ، وكان ضوء الفجر قد بدأ ينبلج » . وكان يغمغم ويقول : « البيني يفعل ذلك ومعه باستيانيني — وحتى شيانو نفسه احب الاشخاص الى نفسي ؟!! » وعندما دخل ووقف أمام راشيل كان وجهه يعبر تماما عن المخاوف التي توقعتها ، لذلك ابتدرته قائلة : « لعلك ألقيت القبض على الجميع ؟ » ولكنه نفى ذلك ووعد بأنه سوف يفعله وهز رأسه دلالة على أنه لم يعد يتمتع بالقوة والبأس الشديد نفسهما . وخلع ثيابه وذهب للنوم ، ولكن النوم لم يطرق جفونه قط . وفي الساعة الثامنة طلبه طبيبه الدكتور بوزى وسأله هل يستطيع الحضور لاعطائه الحقنة العادية التي يحقن بها كل صباح ؟ ، فرفض موسوليني وقال : لا أريد أي شيء اليوم ، ان دمي يغلي في عروقي .

- ٣ -

وبعد مرور ساعة على هذا الوضع دهش باستيانيني عندما وجده جالسا في مكتبه بقصر بلازو فينيسيا ، كما لو لم يحدث شيء ، ولم يكن يبدو عليه أي تعب أو انهاك . وكان يتحدث الى جراندى في التليفون ، ولكنه لم يجده في منزله أو في مكان آخر ، وقيل له : انه ذهب الى منزله الريفي .

وفي الساعة التاسعة والنصف تقريبا قدم اليه البريد اليومي كالعادة ، واهتم بالتقرير الذي قدم اليه عن الغارة الجوية التي وقعت في الليلة البارحة على بولونا ، وحينما انتهى من قراءة هذا التقرير قدمه الى « البيني » وقال بصوت يمتلىء عتابا ومرارة : « لماذا أيدت مشروع جراندى البارحة ؟ لقد كان زائرا وليس عضوا في المجلس الاعلى » .

فاحمر « البيني » خجلا وغمغم بكلمات اعتذار وقال وهو يتعثر في كلماته : « انني آسف ، لقد ارتكبت خطأ كبيرا ، ولكن ليس هناك أى شخص يشك في اخلاصي لك » . وفي الوقت نفسه تحدث سكورزا الى موسوليني بالتليفون قائلا : « لقد جاء الليل بالحكمة ، وبدأ الجميع يشعرون بتأنيب الضمير » . ولكن موسوليني رد عليه بطريقة تمتلىء بالتهديد والوعيد الذي أصبح يصدر بطريقة ميكانيكية قائلا : « ان هذا الوقت أصبح متأخرا على الاعتذار واصلاح الاوضاع » . وطلب منه أن يحضر اليه في القصر ، وعندما وصل سكورزا طلب من موسوليني سرعة العمل ضد الاعداء .

ووصـــل باستيانينى قبـل الغداء يرافقـه سـفير اليابان الجديد فاستقبله موسولينى بروح ود وصداقة ، على حين كان باستيانينى يقوم بشرح الآراء السياسية والاستراتيجية العسكرية باستفاضة كاملة بالنسبة لدول المحور ، ثم تحدث ممتدحا الشعب اليابانى ، على حين كان السفير يبتسم ويحنى رأسه بالشكر والامتنان .

وبعد أن انصرف « هيداكا » « السفير اليابانى » بقى باستيانينى مع موسولينى لبحث الامور الروتينية ، والتنظيمات التى وضعت لزيارة المارشال جورنج لايطاليا . ولم يجراى حديث بينهما عما دار فى اجتماع المجلس الاعلى وكان يبـدو أن موسـولينى قد استبعد ما دار فى هذا المجلس من ذهنه تماما . وعندما اتصل به دى سيزار وأخبره أنه قد تحدد موعد الساعة الخامسة مساء لمقابلة الملك فى قصر سافوى ، بدأ موسولينى يشعر بأن سوء الحظ سوف يلازمه وفى هذه الأثناء نصحه جاليباتى بضرورة القيام بالقاء القبض على الأعضـــاء التسـعة عشر المنشقين ، ولكنه رفض القيام بهذا العمل .

وعندما ارتدى موسـولينى ثيابه اسـتعدادا لمقابلة الملك ، كانت زوجته راشيل قد ازدادت شكا وخوفا ، وقالت له : « لا تذهب يابنيتو . فانه رجل لا يمكن الوثوق به » وكانت كلاريتـا قد نصـــحته فى اليوم نفسه بعدم الذهاب الى الملك ، ولكنه لم يستمع الى رأيهما ، فلم يكن يشعر بأى شعور بالخطر والخوف : فقد كان يعتقد أن كل ما سيأخذه الملك منه هو القيادة العليا للجيش ، وهو أسوأ أمر يمكن أن يتصوره . وحينما ازفت الساعة على الثالثة بدأ يفكر فى الخطر المحدق به فاتصل بالجنرال جاليباتى وأمره باصدار أوامره الى بضع وحدات من قوات الماليشيا الميكانيكية المرابطة بالقرب من براتشيانو بالتحرك فورا الى روما ، ولـكن الوقت كان متأخرا على مثل هذه الأوامر ، فقـد زحفت فرقة كاملة من الجيش من قبل ودخلت روما ، كما استمع الجنرال كاستيلانو الى أوامر الجنرال جاليباتى عن طـريق التداخل فى الخط التليفونى ، وأخذ استعداده لجميع الاحتمالات والطوارىء .

وفى الساعة الثالثة والنصف كان موسولينى لا يزال فى حال ثقة تامة من أنه لن يحدث شىء ، لذلك ذكر أنه سوف يطلب موافقة الملك على تعيين ثلاثة وزراء جدد فى الحكومة . وفى هذا الوقت اتصل سكورزا بموسولينى وأخبره أن المارشـال جرانزيانى يقف الى جانبه على طول الخط ، وأخبره موسـولينى انه سـوف يقابل جرانزيانى بعد مقابلته للملك مباشرة ، وعليه أن يخبر المارشال بذلك .

وفى الساعة الخامسـة الا ربعا تناول موسولينى قبعته وخرج مع دى سيزار وحمل معه فقط وثيقـة خاصة بدستور وسلطات المجلس الأعلى ، ونسخة من قرار جراندى ، وخطاب استقالة شيانيتى من وزارة المؤسسات والهيئات .

وحينما كان موسولينى يستعد لمقابلة الملك فى فيللا سافوى كان الملك نفسه يجرى استعداداته لمقابلته .

وفى صباح هذا اليوم نفسـه كان الكونت جراندى قد قدم تقريرا

عن نتائج اجتماع المجلس الاعلى الى اكوارون ، واقترح تعيين المارشال كافيليا المعادى للفاشية رئيسا للحكومة ، وارسال مندوبين دبلوماسيين الى مدريد للتفاوض مع الحلفاء من أجل عقد اتفاقية صلح . وعندما أعلن اكوارون أن الملك قد قرر تعيين المارشال بادوليو رئيساً للحكومة ، شعر جراندى أن آماله قد تلاشت وخرج من مكتب اكوارون واختفى بعد ذلك ولم يظهر منذ ذلك الحين فى الحياة العامة .

وفى الساعة السادسة اتجه اكوارون الى الملك وسلمه تقرير جراندى الخاص بما دار فى اجتماع المجلس الاعلى ، ثم اتجه بعد ساعة واحدة الى الجنرال أمبروسيو ورافقه الى المارشال بادوليو ليخبراه بما قرره الملك بشأنه . وقد اهتز بادوليو بهذا الخبر فأسرع بارتداء بدلة المارشالية الرسمية ، وارسل خادمه الى المخزن لاحضار زجاجة من الشمبانيا للاحتفال بهذا الخبر .

وفى هذا الوقت قال امبرسيو : انه قد صدرت اليه الأوامر باعتقال موسولينى اذا اعترض بعنف على قرار طرده من الوزارة أما اذا قبل خروجه من الوزارة دون أية مقاومة ، فسوف يترك لشأنه . ولكن كاستيلانو اعترض على ذلك قائلا : ان هذا مستحيل ، ان الملك لا يرغب فى أن يحضر أى انسان مقابلته مع موسولينى ، لذلك لن نعرف مايدور بينهما ، فاذا تركناه يخرج من فيللا سافوى ، فلن نستطيع اللحاق به بعد ذلك .

وفى الساعة الحادية عشرة ترك كاستيلانو المكان متجها الى مكتب قيادة وحدة الجيش المرابطة فى روما حيث جمع مايقرب من خمسين ضابطا وأرسلهم الى قصر سافوى قبل وصول موسولينى بنصف ساعة .

الفصل الرابع

الاعتقال فى فيللا سافوى

٢٥ من يولية ١٩٤٣

لا يستطيع أى انسان ان يحكم مدة طويلة ، ويطلب فى الوقت نفسه تضحيات كبيرة من الشعب دون أن يخلق نوعـــا من السخط والتذمر .

سلكت سيارة موسولينى وهى فى طريقها الى فيللا سافوى طريق سالاريا المهجور وذلك فى يوم الاحد الذى تخلو الشوارع فيه من المارة عادة ، ووقفت العربة عند مدخل الفيللا ، وفى هذه اللحظة فوجىء السائق « اركولى بوراتوا » برؤية الملك ، وهو مرتد ملابس القائد الأعلى للجيش الايطالى ، يقف على درجات السلم ومعه ياوره الخاص . ونزل الملك الدرجات لاســـتقبال ضـيفه والترحيب به وهو يبتسم ويمد يده لمصافحته . وسار الملك وبجانبه موسولينى الى الداخل وخلفهما ياور الملك ودى سينزار ، وقام بعد ذلك اركولى بوراتو بركن سيارته بجوار درجات السلم ووقف منتظرا . وبعد لحظات ظهر له أحد الضباط وقال له : انه مطلوب على التليفون ، فذهب معه وقد أدهشته الحركة لانها أول مرة يطلب على التليفون فى الفيللا سافوى وبدأ يشعر شعورا غامضا بالخوف والقلق .

وكان موسولينى يبدو غير مهتم بما يدور حوله . وعندما دخل الاثنان قاعة الجلوس أخـــذ موسولينى يلخص للملك ما دار فى المجلس الاعلى فى الليلة السابقة ، ثم أكد أن القرار الذى اتخذه المجلس ليس له أية أهمية لانه لا يقوم على أى أساس قانونى . ولكن الملك اعترض عليه بحدة قائلا : اننى لا أشاركك فى رأيك لان المجلس الاعلى عضو أساسى فى تكوين جهاز الدولة ، وأنت نفسك الذى انشأت هذا المجلس كما وافق عليه مجلسا البرلمان لذلك فان لجميع قرارات هذا المجلس أهمية أكبر .

ثم استطرد الملك قائلا : أيها الدوتشى العزيز ان الامر قد انتهى والأوضاع قد ذهبت الى أخطر مراحلها ، ودخلت ايطاليا مرحلة الخراب والدمار ، وانهارت الروح الادبية والمعنوية للجيش ، ولم يعد الجنود يرغبون فى الاستمرار فى الحرب . وقد أخذت كتائب الالب تنشد أناشيد تقول : انها لن تحارب بعد ذلك من أجل موسولينى ..

وكان موسولينى ينصت فى صمت وذهول .

واستمر الملك فى حديثه يقول : « ان قرار المجلس كان خطوة مروعة ان هذا الامر يجعلك تعرف الآن مدى الوهم الذى تعيش فيه بالنسبة لشعور ايطاليا لك . فقد أصبحت أكثر الناس كرها فى ايطاليا . وما زلت أنا صديقك الوحيد ، فانى أوكد انه لا خطر عليك ، وسوف احافظ عليك واحميك » .

ولم يتكلم موسولينى . وحينما أنهى الملك حديثه بقوله : انه قد أمر بأن يتولى بادوليو رياسة الوزراء مكانه جلس موسولينى فجأة دون أن ينبس بأية كلمة ، وكأنه قد أغمى عليه واختفت جميع الألوان من وجهه . وتظاهر بأنه لا يستمع لما يقوله الملك بعد ذلك .

وبعد ذلك وقف وقال بحدة : « اذا كنتم جلالتكم على حق فيما تقولون فسوف أقدم استقالتى على الفور » . فرد عليه الملك قائلا : نعم وارانى مضطرا الآن لقبول استقالتك على الفور دون قيد أو شرط كرئيس للحكومة . فانبرى موسولينى قائلا : « انكم تتخذون قرارا مليئا بالنتائج ولاشك ان أية أزمة فى الوقت الحالى سوف تؤدى الى الاعتقاد بان البلاد سوف تعقد صلحا فى القريب العاجل لان الرجل الذى أعلن الحرب قد ابعد من منصبه ، وسوف تكون الضربة قاضيـــة وخطيرة للوضع الأدبى للجيش ولروحه المعنوية ... وســوف يعتبر كل من تشرشل وستالين هذه الازمة انتصارا لهما وخاصة بالنسبة لستالين الذى ظللت أحاربه طوال العشرين عاما الأخيرة . لقد شعرت الآن بمدى كراهية الشعب ، بعد ما لمسته من شعور داخل المجلس الآن لذلك لن يستطيع اى انسان أن يحكم مدة طويلة ، ويطلب فى الوقت نفسه تضحيات كبيرة من الشعب دون أن يخلق نوعا من الغضب والتذمر وانني أتمنى حظا سعيدا للشخص الذى سوف يتولى رياسة الحكومة من بعدى فى هذه المرحلة الصعبة » .

وانتهت المقابلة ، وصحبه الملك حتى الباب . وكان وجه الملك فى تلك اللحظة يبدو ممتقعا وأصغر من حجمه الطبيعى ، وذلك بعد أن استطاع أن يوجه المناقشة ببراعة ودقة وهدوء . وكان موسولينى بدوره فى غاية الهدوء والبرود . فعندما غادر الفيللا مد يده الى الملك فيكتور عمانويل وهز يد الملك بحرارة وقوة . وتحدثا معا مرة اخرى عن حرارة الجو .

وبالرغم من جميع التحذيرات التى كـان موسولينى قد سمعها قبل أن يحضر هذه المقابلة فقد كـان قليل الاكتراث بالمخاطر التى تحيط به وقد قال شيانو فى هذا المجال « ان تصرفات الدوتشى فى ذلك الوقت كانت غامضة وغير مفهومة . فقد كان يعرف أن هناك انقلابا يعد له منذ أكثر من خمسين يوما ، ولكنه كان لا يهتم بمثل هذه الامور لأنه تصور أن مجرد تغيير الوزراء سوف ينهى جميع المحاولات التى تهدف الى التخلص منـــه . وعندما أخبرته زوجته راشـــيل بهذه المؤامرات نهرها وقال : انها سيئة التفكير ، وكذلك تجاهل اقوال خليلته كلاريتا ولم يهتم بتحذيرات سكورزا وجالبياتى ، ولم يسألهما اية تفصيلات .

وعندما خرج من الفيلا لم يكن يشعر قط ان هناك خطرا يتهدده بالرغم من أنه وجد سيارته فى غير المكان الذى اعتاد تركها فيه ، وعندما وصل نهاية درجات السلم وجد الكابتن « فينيرى » فى انتظاره وحياه التحية العسكرية وقال له « سيدى الدوتشى لقد سمعنا أنكم فى خطر ، لذلك تلقيت أوامر بمرافقتكم لحمايتكم » .

فرد عليه موسولينى باشارة فيها كثير من الدهشة والغضب وقال : لا داعى لذلك فعندى حرسى الخاص . فرد عليه الكابتن «فينيرى» قائلا : لقد تلقيت اوامر بضرورة حراستكم .. وكان موسولينى قد وصل سيارته فرد عليه باقتضاب قائلا : حسنا ... اذا كانت هذه هى أوامرك ، يستحسن أن تأتى معى فى سيارتى . ولكن فينيرى انبرى قائلا بلهجة فيها نوع من الأمر : كلا ياسيدى الدوتشى اذ يجب ان تأتى انت معى . واشار الى عربة اسعاف كانت تقف خارج اسوار الفيلا . فقال الدوتشى : ان هذا أمر عجيب ! اننى لم أسمع بمثل هذا العمل من قبل فأكد الكابتن قوله : أنه أمر ياسيدى الدوتشى .

ولم يعترض موسولينى على ذلك بل ذهب مباشرة الى العربة وعندما نظر داخلها وجد حرسا مسلحا يجلس بداخلها فتردد لحظة ثم صعد بعد أن عاونه الكابتن على الصعود بطريقة تدل على انه يأمره بالصعود وصعد خلفه دى سيزار ، ثم تبعه ثلاثة ضباط عسكريون وضابطان من ضباط البوليس مسلحان بمدافع رشاشة . ثم أغلق الباب بعنف . انه لم يحدث فى حياته أن قبض عليه بمثل هذه الطريقة !

الفصل الخامس

السجين

٢٥ من يولية ١٩٤٢ ــ ٢٨ من اغسطس ١٩٤٣

يمجد التاريخ الحيــــاة ، ولكن
الحيــــاة لها تلاميذ شريرون

ـ ١ ـ

لم يتحدث أى انسان فى عربة الاسعاف التى أخذت تنطلق بسرعة عنيفة خلال الشوارع لمدة تزيد على نصف ساعة . واستمر موسولينى فى صمته معتقدا أن هذا الكابتن كان صادقا فى كلامه وانه يعمل على حمايته من العامة وفى الساعة السادسة وقفت السيارة فى ساحة ثكنات بودجوار التى فى شارع كونتينا سيلا فنزل منها موسولينى كما لو كان فى جولة تفتيش ، وبدأ يتلفت حوله ويضع يديه على جانبى ردفيه ، وهو أمر كان يعرفه عنه الجميع معرفتهم لوجهه .

ثم قاده الكابتن بعد ذلك الى غرفة « ميس » الضباط ، ولاحظ عند دخوله أن هناك عدة قوات تحيط بالمكان شاهرة حرابها . وتركه الكابتن وحيدا بعد ذلك ، وكان هناك أحد الضباط يراقبه من خلف أحد الابواب فى حجرة مجاورة . وبعد مرور ثلاثة ارباع ســـاعة نقل موسولينى مرة اخرى الى سيارة الاسعاف التى اندفعت بأقصى سرعتها لدرجة أن دى سيزار احتج على ذلك خوفا من أن تصاب معدة الدوتشى على حين كان موسولينى نفسه يجلس فى صمت .وعندما وصـــلت السيارة الى ثكنات الكلية الحربية نزل موسولينى منها بسرعة دون احتجاج . وفى هذه اللحظة همس دى سيزار فى أذن الدوتشى قائلا : أنه يشك فى أن جميع هذه القوات مسلحة من أجل حمايته ، ولكن موسولينى رفض أن يصدقه ، وحتى عندما ادخل فى حجرة مكتب القائد ظل معتقدا أن هذه القوات المسلحة بقصد حمايته والمحافظة عليه : ولكنه فوجىء عندما طلب الذهاب الى التواليت أن رافقه أحد الظباط وعدد من الرجال الذين تولوا حراسة الباب ثم عادوا به الى مكتب القائد .

قدمت بعد ذلك الى الدوتشى وجبة غداء ، ولكنه رفض تناولها كما لو كانت أمرا يحط من كرامته وكان الدوتشى يبدو مريضا لدرجة كبيرة غير انه لم يشك : الامر الذى جعل القائد يستدعى طبيبا لرعايته ، وحضر الدكتور سانتيلو على الفور ، فوجد الدوتشى « مصفر الوجه لدرجة تشبه الموتى ووجد ضغط الدم عنده منخفضا جدا » .

وفى الساعة الحادية عشرة اطفأ الدوتشى النور وحاول أن ينام فى

سرير المعسكر الذى وضع فى الحجرة خصيصا له . ولكنه تضايق بشدة لتسرب الانوار من خلال باب حجرة مجاورة كان مفتوحا لنصفه حيث يجلس أحد الضباط لمراقبته بالتناوب دون الاهتمام بالتليفون الذى ظل يدق بشدة دقات متوالية .

- ٢ -

وكانت جموع الشعب قد بدأت تتجمع فى الشوارع فى اليوم التالى لبحث الشائعات الأخيرة . وكانت الشوارع قد امتلأت فى الساعة الخامسة بالجنود المسلحين وبالمدفعية الخفيفة بحجة أنها قد وزعت فى الشوارع لمقاومة رجال المظلات للقوات المتحالفة الغربية التى يتوقع نزولها فى أية لحظة فى ضواحى روما . ولم تكن أية معلومات حتى تلك اللحظة عما دار فى المجلس الأعلى قد وصلت الى الشعب أو حتى الصحافة، وكل ما عرف حتى ذلك الوقت هو أن الاجتماع قد استمر حتى الساعات الأولى من الصباح ، وان المجلس قد اتخذ قرارات فى غاية الخطورة .

وعندما حل المساء كانت الشائعات قد اتسعت وتركزت حول الدوتشى بعضها يقول : انه استقال وذهب الى منزله ، وبعضها يقول : انه قد قتل ، وبعض ثالث يقول : انه هرب الى المانيا .

وفى الساعة الحادية عشرة الاربعا اجتمع آلاف من الشعب حول أجهزة الاذاعة لسماع الخبر الهام الذى أعلن أنه سيذاع فى تلك اللحظة ولكن الأجهزة عادت الى الصمت . وظل الشعب ينتظر بشغف ، وأخيرا جاءهم صوت المذيع يعلن : —

« قبل جلالة الملك الامبراطور استقالة سعادة الفارس بنيتو موسولينى من رياسة الحكومة وعين محله الفارس المارشال بيترو بادوليو .. »

وكان هذا الاعلان كافيا لعدد كبير من المستمعين ، فلم يحاولوا سماع أكثر من هذا ، بل أخذوايجرون فى الطرقاتوالشوارعويصيحون ويرقصون ويغنون . ويصيحون قائلين : « ان موسولينى قد سقط ، سوف تنتهى الحرب » . وبدءوا يتبادلون القبلات ويصيحون قائلين ان الفاشية قد سقطت وانتهت . وأخذوا يصبون لعناتهم على موسولينى. واخذت جموع الشعب تتدفق على شارع « كويرينالى » لتحية الملك ، وعلى شارع ٢٠ من سبتمبر لتحية بادوليو . وبدأت الجماهير تلقى بصور الدوتشى الى الأرض وتدوسها بالاقدام وتهجم على منازل الفاشيين المعروفين .

وبالرغم من هذا الاندفاع لم يقتل اى انسان لان الشعور الذى كان سائدا كان شعور الفرح والابتهاج أكثر من كونه شعورا بالانتقام . وكانت هناك غالبية عظيمة من الشعب تجلس فى المنازل فى حزن بعد أن جاء بادوليو وأعلن أن الحرب سوف تستمر وان ايطاليا سوف تبقى مخلصة لحلفائها . وكان الالمان لايزالون يقيمون فى روما ويسيطرون على غالبية أجزاء ايطاليا وذلك للسيطرة على البلادفى حال الطوارىء . وأصبح الامل فى الوصول الى صلح وسلام واهيا وضئيلا للغاية .

- ٣ -

كان الملك يهبط ويصعد فى فيللا سافوى مرات ومرات ، ويعبر طرقات حديقة الفيللا ويتحدث بابتهاج عن اجتماع المجلس الاعلى واستقالة موسولينى ، والقبض عليه وأحد أعوانه . ولكن الملكة لم تكن تشاركه فى هذا الشعور بالغبطة . فكانت تقول: كانوا يستطيعون القبض عليه فى أى مكان يشاءون الا هنا فى هذه الفيللا ، لأنه كان ضيفنا ، وقوانين الضيافة توجب احترام الضيف وحمايته ... انها وصمة . وكانت تعتقد فى بداية معرفتها بموسولينى أنه شخص ضخم الجثة وسيىء الاخلاق ، ولكنها بدأت تعجب به بمرور الوقت وتحترم شخصيته ، لذلك شعرت بحزن عميق للطريقة العنيفة التى اسقط بها من منصبه

- ٤ -

فى الساعة الواحدة من الصباح دخل الكولونيل شيروكو حجرة القيادة التى ينام فيها موسولينى وقال له : ان الجنرال فيرونى قد وصل لتوه حاملا رسالة اليكم من المارشال بادوليو . فوقف موسولينى واتجه الى الحجرة المجاورة حيث وجد الجنرال فيرونى الذى قدم اليه الرسالة . وقبل أن يفض موسولينى الرسالة اتجه ينظر الى فيرونى وقال له : جنرال ، أعتقد أننا تقابلنا من قبل ، اليس كذلك ؟

فرد عليه فيرونى قائلا : « بلى تقابلنا فى المانيا » . ثم تحول موسولينى الى الرسالة يقرؤها . فكانت كما يلى : الى سعادة الفارس بنيتو موسولينى : يرغب رئيس الحكومة الموقع أدناه أن يخطر سعادتكم بأن ماحدث كان ضروريا فقط من أجل سلامتكم بعد العلم بانه كانت هناك محاولات عدة لاغتيالكم وتهديد حياتكم ، لذلك فانه يرغب فى اخطاركم بأنه قد أصدر الأوامر للعناية بكم ورعايتكم ، ووضعكم فى أى مكان ترغبون فيه . توقيع « رئيس الحكومة ــ المارشال بيترو بادوليو » .

ونظر موسولينى بعد ذلك الى فيرونى الذى سأله عن المكان الذى يرغب الانتقال اليه . فرد عليه قائلا ــ فى عزة وكبرياء ــ انه لا يمتلك منزلا خاصا به ، وعلى ذلك فسيكون ضيفا فى أى مكان يذهب اليه . فاقترح عليه فيرونى فيللا « روكا كاميناتى » وسر موسولينى لهذا الاقتراح ، وقال له : أرجو ان تحمل تمنياتى الى المارشال بادوليو . وأملى موسولينى فيرونى خطابا موجها الى المارشال بادوليو يشكره على عنايته به ويخطره باختيار المكان الذى اقترحه عليه فيرونى ، ويذكره بالأيام التى عملا فيها معا متعاونين ، وأعلن عن سروره للقرار الذى اتخذه بضرورة استمرار الحرب .

وبعد أن غادر الجنرال فيرونى المكان عاد موسولينى الى سريره حيث نام عميقا . وعندما نهض من سريره فى الصباح نظر من النافذة لمشاهدة السيارات التى كانت تدخل المعسكر وتخرج منه ، ويراقب الحراسة المشددة الموضوعة عليه ، وأخذ يقرأ الشعارات الأبدية التى وضعها النظام الفاشى التى نقشت على الحوائط : العقيدة والايمان ، والطاعة ، والكفاح » .

وكان موسولينى مؤدبا مع سجانيه ، راغبا فى اطاعة الطلبات التى تطلب منه . وكان يأكل قليلا ولا يدخن . وقد ذكر فى المرة الثانية التى زاره فيها الدكتور سانتيلو : « ان الدكتاتوريين لا يمكن أن يتخلوا عن سماحتهم وانه يجب أن يسقطوا ولكن سقوطهم لا يسعد أى انسان » .

وفى اليوم التالى سمح له بزيارة دى سيزار فى حجرته المجاورة ، وظل الاثنان يتحدثان فترة طويلة ويتناولان أقداح الشاى مرة بعد الأخرى وكانت زوجة القائدتقوم باعدادها لهما . وفى الساعة السابعةنظر من النافذة فرأى مجموعتين من الجنــود احداهما من الجيش والأخرى من البوليس تصطف فى شبه دائرة فى ميدان الثكنات بجوار ســيارات اللورى .. وبعد ساعة أخرى تدفق عدد آخر من اللوريات والضباط . وبعد لحظات دخل أحد الضباط الى موسولينى وقال له : ان الأوامر قد صدرت بالانتقال من هذا المكان ، فتبعه موسولينى وتبعموسولينى ضابط آخر قـــدم نفسه الى موسولينى على أنه الفريق بوليتـــو مدير البوليس الحربى وعندما استقل موسولينى السيارة اندفعت بسرعة خارجة من الثكنات وكان يسبقها فريق من رجال الحرس لفتـــح الطريق أمام السيارة دون سؤال . وفى أثناء مرور السيارة شاهد موســـولينى مستشفى سانتو سبيريتو . فعرف أن السيارة لا تتجه الى روكاديل كاميناتى عن طريق شارع فلامنيا ، وانما تتجه جنوبا عبر شـــارع آبيا ، وعندما وصلت السيارة البانو تحققت مخاوفه تماما فسأل الفريق بوليتو : « الى أين نتجه الآن ؟ »

ــ« اننا نتجه الى الجنوب »

ــ« ألسنا ذاهبين الى روكاديل كاميناتى ؟ »

« آسف ، لقد صدرت أوامر اخرى »

« ولكن من أنت ؟ انى اعرف مفتشا فى البوليس يدعى بوليتو »

ــ « انه أنا شخصيا »

« ولكن كيف وصلت الى هذه الدرجة والرتبة »

« لقد منحت رتبة مساوية فى الجيش »

ــ وحينمـــا توقفت السيارة سأل بوليتو الســـائق عن المكان فرد عليه قائلا :« بالقرب من جيانا » . وفى الحال تحقق موسولينى ان كرامته وكبرياءه قد انهارتا وتحطمتا تماما ، وان نهايته أصبحت أشـــبه تماما بنهاية يوليوس قيصر ونابليون حتى المسيح نفسه . وبدأت نفسه تستريح عندما تذكر هؤلاء الابطال ، وعندما تذكر أن الباباپيوس التاسع قد التجأ الى هذا الميناء ، وأن مازينى نفسه قد لجأ اليه فى عام ١٨٧٠

وفى الحال خرج أحد ضباط البحرية وهو يحمل فى يده مشعلا ويصدر أوامره الى السائق بنقل موسولينى الى داخل زنزانته . وكان يلفظ اسم موسولينى بسخرية جعلته يرتعد ويحس بالاشمئزاز .

وفى الســـاعة الخامسة من المساء وصلت الى الادميرال فرانكو موجيرى رئيس مخابرات البحرية أوامر من وزارة البحرية تطلب منه

الاستعداد للقيام بواجب حراسة بسيطة ، وعليه أن يتوجه مباشرة الى ميناء جيـــاتا حيث تنتظره أوامر هذا الواجب فى رصيف كوستانزو شيانو • وبعد ساعتين أصدر اليه الجنرال « مريكة » الأوامر التفصيلية : فأخبره بأن موسولينى قد توجه الى ميناء جياتا وبرفقته الجنرال بوليتو والكولونيل بلافى وقوة حراسة مسلحة • وطلب منه أن ينقل السجين على ظهر الباخرة الحربية «بيرسيفونىPersefone» الى جزيرة فينتوتينى التى تبعد ثلاثين ميلا الى الجنوب على الا يعرف اى انسان شخصية السجين الابعد ابحار الباخرة .

ووصل مواجيرى الى جياتا فى الساعة الحادية عشرة الاربعا وظل منتظرا ثلاث ساعات • وفى الساعة الثـــانية صباحا شاهد مواجيرى انوار ثلاث سيارات تسير متتابعة ، وتقترب من الميـنـاء • وعندما وصل الركب ونزل موســـولينى وتبعه الجنرال بوليتو حياهما موجيرى ، وصحبهما الى الباخرة « بيرسيفونى » التى بدأت تتحرك بعـــد ذلك مباشرة •

كانت الرؤية غير واضحة تماما نظرا لارتفاع الحرارة والرطوبة وانخفاض السحب . وقبل أن تصل الباخرة الى فينتوتينى قام الكابتن تزارى بتخفيض السرعة وفى الساعة الخامسة الاربعا القت السفينة مرساها على بعـــد عدة مئات من الياردات من الشاطىء • وبدأ الجنرال بوليتو يستعد للذهاب الى الشاطىء لاكتشاف صلاحيةالجزيرةللنفى ، على حـــين ذهب الادميرال موجيرى الى موســـولينى ليسأله هـــل هو فى حاجة الى قدح من القهوة أو الشاى ؟ ، ولكن موسولينى رفض أى شيء سوى الاستفسار عن فينتوتينى • وبدأ موجـــيرى يسرد عليه بعض المعلومات من ذاكرته على أنهـا جزيرة صغيرة مجهولة للعامة • وفى هذه اللحظة طرأت على ذهن موسولينى قصص البا ، وسانت هيلينا .

حينما عاد بوليتو اعلن للادميرال ان هذه الجزيرة لا تصلح أبدا لأن تكون مكانا لنفى موسولينى نظرا لوجود عدة قوات ألمانية مرابطة فيها ، وفى الحال ابتعدت السفينة عن الشاطىء متجهة الى جزيرة بونزا فى الجنوب الغربى التى تبعد عن موقـع فينتوتينى بمسافة خمسة وعشرين ميلا حيث وصلت الباخرة فى الظهر تماما والقت مراسيها . وعندما شاهد موسولينى جموعا من الشعب ترقب الباخرة بدهشة انتابه الخوف والرهبة وطلب من موجيرى أن يؤجل نزوله الى البر حتى المساء . ولكن موجيرى رفض بأدب بحجة أن الاوامر العليا قد صدرت اليه بأن يصحبه ثم ينزل الساحل على الفور ويعود الى مقره . وعاد بوليتو ليعلن انه قد أمر باعداد منزل مناسب فى قرية ســـانتا ماريا لاستقبال « شخصية كبيرة » . وعندما ســـمع موسولينى هذا الامر أصيب بذعر وهبوط ، وأخذ يحتج قائلا انه لا يود أن يذهب ولا يود أن يعرف الناس ماحدث له • ولكن غضبهتلاشى بالسرعة التىظهر بها انفعاله• واضطر أن ينصاع للأمر ، وحيا الادميرال موجيرى بكل هدوء وأدب ، ثم ابتسم بحزن ، وأخذ وضعه فى المركب البخارى الصغير الذى اقله الى الشاطىء .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا عندما وصل موسوليني الى الشاطىء وأعلن فجأة انه يشعر بتعب شديد مفاجىء • وانه لذلك يود أن يذهب للنوم فورا وعندما ذهب موسوليني الى الحجرة التي خصصت له وجد بها سريرا حديديا ومنضدة قديمة ومقعدا من مقاعد الحانات ، فانتابه الغضب وأخذ يشد قبضته بعنف . ثم تحول الى المقعد ووضعه في منتصف الحجرة وجلس عليه .

وكان هناك الماجور ماريني حاكم بونزا العسكرى يقف يراقب الدوتشي بألم شديد ، لذلك دخل الحجرة عندما وجد موسوليني في هذه الحال وحياه التحية الفاشية الرومانية ، وظل واقفا في حالة انتباه ، وحاول أن يقول شيئا ولكن الكلمات كانت تقف في حنجرته . ولاحظ موسوليني هذا الوضع فتبدلت ملامحه من الصرامة وخيبة الأمل ، الى الوداعة وانتعاش الأمل ، ووقف ووضع يده على كتف الماجور وقال له : «تشجع .. انني أعرف ما تشعر به الآن» . فرد عليه قائلا : «اننا لم نكن نعرف أن سعادتكم سوف تشرفون بونزا الا من نصف ساعة فقط » .

ـ« لا تهتم »

« انني كنت أرغب دائمـــا أن أقابل سعادتكم ولو مرة واحدة في حياتي لاخبركم كل شيء »

ـ « وها قد قابلتني الآن ، ولكن الأمور لم تعد تعنيني بعد الآن » .

وترك الماجور الحجرة لكي يحضر مخدة ، وبعض الأغطية وعندما عاد جاءت وراءه زوجة أحد رجاله تحمل معها صحفة فيها شربة ساخنة وبعض الحبوب الخضراء ... المسلوقة . وكان موسوليني يرقد على جنبه ويضم سترته أسفل رأسه ، وكان يبدو عليه التعب والانهاك . ولكنه حينما تناول غذاءه شـــعر براحة وتحسن واصبح قادرا على التحدث الى الصـــيادين وبعض الرجال الذين حضروا لزيارته وتقديم الهدايا اليه من الاسماك والأصداف .

وفي اليوم التالي ـ ٢٩ من يوليو ـ كان عيد ميلاده ، وكان يجلس وهو يرتدى حلة زرقاء ينظر خلال النافذة • وفي هذه اللحظة دخل اليه الماجور ماريني يحمل له بعض حبات الخوخ •• وتقبلها موسوليني شاكرا وقال : انك طيب القلب أيها الماجور وآمل ألا يؤدى ذلك الى قلة الفاكهة في هذه الجزيرة .

ـ « لا ، أبدا »

ـ « حسنا سوف أتناول هذه الحبات بين اليوم وغد »

وفي الصباح حضر اليه جمع من الصيادين ورجال الجيش لتحيته • وتهنئته بعيد ميلاده • وفي المساء حضر اليه أحد الضباط وسلمه برقية من جورنج تقول : « الدوتشي

انني وزوجتي نبعث اليـــكم بأحر وأطيب التمنيات لهذا اليوم • وبالرغـــم من الظروف التي منعتني من الحضـــور الى روما على حسب

الخطة المتفق عليها ، فانني أقدم لكم كل الشـعور بالصداقة والمحبة الاخوية . ولا شك ان عملكم كرجل سياسة سوف يظل في سجل التاريخ وصفحات هاتين الأمتين اللتين تسيران لمصـير واحد • وأود أن أخبركم أن أفكارنا تتجه باسـتمرار اليكم ، كمـا أود أن اشكركم لكرمكم الذى شملنا من قبل .

صديقكم المخلص
جورنج »

وكانت هذه الرسالة هى الوحيدة التى تلقاها من أرض الوطن .

وفى هذا الوقت اخبر ماكنسن السفير الفيبرى أن هتلر غاضب اشد الغضب من الملك وبادوليو لعدم ذكرهما اسم المكان الذى نقل اليه موسوليني . وقد أصدر الفوهرر أوامره الى ماكنسن السفير الالماني في روما بطلب مقابلة الملك لطلب تصريح خاص لزيارة الدوتشي ، ولكن بادوليو اعتذر قائلا : انه لا يستطيع من أجل مصلحة سعادة بنيتو موسوليني ان يوافق على مثل هذه الزيارة المقترحـة ، ولكنه يستطيع في الوقت نفسه أن ينقل أية رسالة خاصة الى موسوليني • وعلى هذا الاساس صمم هتلر على ارسال مجموعة من أعمال فيلسوف المانيا العظيم « نيتشه » • ولكن هذه الكتب لم تصل الى موسوليني في منفاه في بونزا .

وبعد مرور ستة ايام عليه فى هذا المنفى ، شاهد ضوءا غامضا يومض بين الحين والآخر على سفح هضبة خلف الميناء . فأخذ يراقبه بعض الوقت ، ثم ذهب لينـام بعد أن مل النظر . وقبـل ان ينبلج الفجر شعر بيد تهزه بعنف وتخبره بأنه قد صـدر الأمر بمغـادرة الجزيرة على الفور • فقام على الفور وارتدى ملابسه وجمـع حاجاته ، وسار بصحبة حرسه الخاص الى الساحل حيث وجد قاربا فى انتظاره وشاهد على مسافة غير بعيدة سفينة حربية فى مدخل الطريق ، ونقل اليها على الفور فوجد عليها الادميرال موجيرى . وسأله موسوليني : « الى اين هذه المرة يا موجيرى ؟ » فاجابه : « الى جزيرة مادالينا » . وظهر الامتعاض على وجه موسوليني ، فقد شعر بأنه أصبح شخصية ضئيلة فى مصيرامته ، اذ لم يعد له كيان وشخصية يستطيع بهما أن يوجه مصير أمته .

وقد أخبره أحد الضباط وهو على ظهر السفينة أن المارشـال بادوليو قد حل الحزب الفاشى . وعرف موسوليني أن فاريناتشى قد ذهب الى المانيا وتحدث من راديو ميونخ ، وان شيانو قد طرد من منصبه كسـفير • وعندما أخبره موجيرى أن الحـكومة كانت تخشى قيام الفدائيين الألمان بمحاولة اختطافه وانقاذه من منفاه فى جـزيرة بونزا ، أبدى موسوليني اهتماما شديدا وحقيقيا ، لأن هذه العملية سوف تحط من قدره ومن شعبيته ، لأنه لا يتصور أبدا أن يعود الى الحكم فى ايطاليا بمساعدة الالمان . ولم يكن موسوليني قد فكر من قبل فى امكانية قيام الألمان بانقاذه بالرغم من انه كان قد بحث مع مارينى عن امكانية قيام هجوم بريطانى •

وفى الساعة الثانية بعـــد الظهر وصلت الســفينة الحربية الى مادالينا حيث شعر موسولينى بضيق شديد عنـدما ذكره الادميرال برونو بريفوينسى بالانجليز ونقل موسولينى الى منزل له حديقة كبيرة واسعة تطل على البـــحر وتحيط بها أشجار الخشب الموسكى . وكان هذا المنزل مؤثثا تأثيثا جيدا نظرا لأنه كان يستخدم « ميسا » للضباط وكان ملكا لرجل انجليزى يدعى « ويبر » . ولكنه تساءل : كيف يمتلك رجل انجليزى منزلا فى شمالى سردينيا وفى هذه المنطقة النائية ما لم يكن من أجل أعمال سرية ..؟

وكانت مادالينا قد أصبحت مهجورة تقريبا من السكان بعد حدوث عدة غارات جوية عليها ، وهو أمر وجده موسولينى فى غاية الغرابة لأنه يعرف أن الانجليز يعرفون أهدافهم تماما . ولم يبق من الناس سوى بعض البحارة ، والصيادين ورجال الحرس الذين يزيد عددهم على المائتين .

وبقى موسولينى فى هذه الجزيرة المعزولة ثلاثة أسابيع متتالية كانت أبأس أيام مرت على موسولينى فى حياته كلها . وكان قد انقطع الاتصال نهائيا بينه وبين العالم ولم يكن يرسل اليه سوى الكتب التى يرسلها اليه الفوهرر الالمانى .

وفى أحد الايام وصل الجنرال بوليتو الى الجزيرة فسأله موسولينى عن وعد المارشال بادوليو بارساله الى روكاديل كاميناتى ، فأكد له الجنرال أن ذلك مستحيل فى الوقت الحـالى نظرا للخطورة الشديدة التى تحيط به فى الوقت الحالى ، وأخبره أن التنظيمات الفاشية قد اختفت فى كل مكان ، وأن مبنى صحيفة « شعب ايطاليا » قد تحطم تماما فى ميلانو . ثم سأله موسولينى عن مصير الحرب ، فأخبره أن الاستعدادات تتخذ الآن لانهائها لأنها أصبحت عبئا كبيرا على الشعب وعلى الذين يحاربون أيضا . وأخبره أيضا أن بادوليو يتجه الى توقيع معاهدة هدنة بكل حـذر لأنه يرغب فى الوقت نفسه فى الاحتفاظ بصداقة حلفاء ايطاليا . وذكر له ان امبروسيو ورفائيل جواريليا وزير الخارجية الجديد قد اجتمعا فى ٦ من أغسطس فى تارفيســـيو فى أقصى الشمال مع ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية والمارشال كيتل لبحث عملية سحب القوات الالمانية من الأراضى الايطـــالية . وفى هذه المقابلة ســـأل ريبنتروب رفائيل جواريليا عن مدى تقدم مباحثات ايطاليا مع الحلفاء من أجـــل اتفاقية صلح ، فانكر وزير الخارجية الايطالى هذه المحـــاولة بكل ذكاء وبراءة ، وأكد له أن الايطاليين سوف يظلون الحلفاء المخلصين للألمان .

ولكن لم يمض اسبوع على هـذا الحـديث حتى كان الجنرال كاستيلانو متجها الى مدريد لمقابلة السفير البريطانى هناك ، واخطاره باســتعداد ايطاليا للتسليم . وبعد مرور ثلاثة أسابيـــع من المباحثات المضنية تم توقيع اتفاقية التسليم فى ٣ من سبتمبر فى كاسيبيل بالقرب من سراقوس فى سيشيل . وفى هذا اليوم نفسه كان بادوليو رئيس الوزراء يؤكد للسفير الالمانى فى روما أن ايطاليا سوف تسير الى جانب حليفتها المانيا حتى النهاية . ولكن فى الساعة الثامنة من مساء يوم

٨ من سبتمبر قامت قوات الحلفاء بناء على هذا الاتفاق بانزال قواتها فى « ساليرنو » داخل الاراضى الايطاليـة وبذلك عرف العـالم أجمع أن ايطاليا قد سلمت للحلفاء .

ولم يعرف موسولينى ما حدث بعد ذلك فكان يجلس فى فيللا ويبر وهو ينظر الى البحر . وفى يوم ٢٦ من أغسطس ظهرت طائرة ألمانية فوق الفيللا على ارتفاع منخفض جدا لدرجة ان الدوتشى شـاهد بنفسه الطيار ، ثم حامت بعد ذلك غواصة ألمانية حول الجـزيرة ، واصبح الاعتقاد السائد أن هناك محاولة لانقاذ موسولينى .

وفى ٢٨ من أغسطس تم نقل موسولينى فى الساعات المبكرة من فيللا ويبر الى الميناء حيث كانت تقف طائرة مائية تابعة للصليب الاحمر، قامت بنقله بعد ذلك الى بحيرة براشيانو . وفى « فينادى فالى » قابله مفتش بوليس يدعى « جوبلى » قام بأعمال الحراسة مكان بوليتو . ثم نقل موسولينى بعد ذلك الى عربة اسعاف شـقت طريقها بعد ذلك بسرعة مذهلة فى طريقها الى روما .

الفصل السادس

فى جران ساسو

٢٨ من اغسطس ١٩٤٣ – ١٢ من سبتمبر ١٩٤٣
آه .. انه أعلى سجن فى العالم .

- ١ -

عنـدما وصلت عربة الاسـعاف مدخل روما اتجهت الى شارع فلامينا ثم عبرت الجسر الحديدى فوق نهر التيبر متجهة الى طريق سابين عبر الوادى الذى يفصل جبال سابين عن الابروزى . وفى هذه اللحظة تحقق موسولينى أن السيارة تتجه الآن الى جران ساسـو دى ايطاليا التى تنحرف من طريق اكويلا . وكانت منطقة جران ساسو التى ترتفع ما يقرب من ثلاثة آلاف قدم فوق مستوى البحر على بعد خمسة عشر ميلا من طريق اكويلا ، وفوقها معسكر « امبراطور » . وفى هذا المكان وضع موسولينى ، واحتل فيللا صـغيرة على هـذه الربوة .

وكان موسولينى يقبع فى الطبقة الثانية من هذه الفيللا الصغيرة ، ويحملق فى الهضبة التى تقبع أمام ناظريه . وقد سمح له لاول مـرة منذ اعتقاله بالاستماع الى جهاز الراديو . وكان يتعجب ويقول : ماهى ارتفاع هذا الفنـدق ..؟ انه يبلغ ١١٢ر٢ مترا فوق سطح البحر . فصاح بتعجب وبسـاطة قائلا : « آه .. انه اعلى سجن فى العالم » .

- ٢ -

كان مبنى « البرجور فوجيو » يبـدو من بعيد كأنه سجن رهيب معزول عن بقية أنحاء العالم . ولكن موسـولينى استراح اليه وهو ينظر اليه ، وعندما دخله قام باعطاء أمره الى خـادمه الخاص برفع جميع السجاد والأبسطة قائلا : اذا كنت حقيقة أعامل كسجين فيجب أن أشعر بأنى سجين حقا ، أما اذا لم اكن سجينا فاننى أود أن انتقل الى « روكاديل كاميناتى » ..

ولكنه كان يعامل فى الواقع معاملة الضيوف لا معاملة المسجون ، وكانت مديرة الفندق تشاهده وهو يجلس صامتا ، ويطلب نقل غذائه الى حجراته الخاصة . وكان موسولينى يتبـــع رجيما خاصا فى غذائه الذى كان يتكون فى الغالب من الارز والبيض والبصـل المسلوق ، وشريحة صغيرة جدا من اللحم ، وبعض اللبن والفواكه .

وكان يذهب بعد الظهر فى جولة بسيطة مع الماجور انتيكى ، ثم يتناول عشاءه فى الساعة السابعة ثم يتوجه بعد ذلك الى غرفة الجلوس

للعب الورق مع انتيكي وحـــــارسيه الخاصـــين جوبلي وفايولا .
وقبل أن يتوجه الى النوم كان يستمع الى الاذاعة ، ولم يكن يستمع فقط الى الاخبار الايطالية وانما كان يستمع ايضا الى الاذاعة الالمانية والانجليزية وغيرها . وكان يستمع دون أن تبدو على سيماه أى آثار للانفعال ، وكان ينعت سير الحرب بقوله : « انها حـرب الخـذلان والعار » التى بدات اتجاها تراجيديا .

وقد استمع موسوليني الى اخبار الغارات الجوية العنيفة على المدن الايطالية ، وارتفاع نسبه الضحايا الايطاليين ، وانهيار القوات، وغزو صقلية السريع ، وانتشار المجاعات والخراب، وتدهور الحاصلات وامتناع المانيا عن ارسال الفحم ، وقيام القـوات الايطاليـة بتسليم اسلحتها ومراكزها الى الالمان فى كرواتيـا واليـونان وفرنسـا دون احتجاج .

واستمع موسوليني أيضـا الى سـفر الملك والمارشال بادوليو رئيس الحكومة من روما الى بسكارا ثم برنديس . وكان يستمع الى كل هذه الاخبار ويشعر فى قلبه بالأسى والحزن وعدم القدرة .

سأل موسوليني جوبلي فى أحـد الأيام : « انني أتعجب كيف سيكون حكم التاريخ على ؟ » وكان هـذا السـؤال هو الذى يحير موسوليني ويثير اهتمامه فى حياته السابقة وفى تطلعه الى الحيـاة فى المستقبل . ولم يهتم موسوليني كثيرا باجراءات الامن التى وضعت على معسكر « امبراطور » ومقدار القوات الميكانيكية التى تقف على بابه بكامل أسلحتها . ولم يكن يظهر أسفه ، وانما كان يبدو عليه التفكير العميق ، وكان ينظر من نافذته وهو يتأمل ، ويحملق فى الافق البعيد مثلما كان يفعل نابليون فى سانتا هيلينا .

وفى أحد الأيام جلس موسوليني أمام جهاز الاذاعة واستمع الى الشروط الكاملة للهـــدنة التى وقعها بادوليـــو مع الحلفاء . وكان راديو ألمانيا هو الذى يذيع هــذه البيانات الكاملة ، وكان من بين هذه النصوص تسليم موسوليني الى الحلفاء . وفى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى سلم الحارس الخاص كريفيتو خطابا الى الملازم فايولا من موسوليني تضمن الكلمات التالية :

« تحققت فى الأيام القليلة التى لازمتنى فيهـا أنك صديق مخلص يمكن الاعتماد عليه . وأنت جندى ، وتعرف أكثر منى معنى السقوط فى أيدى الاعداء وقد علمت مساء أمس من اذاعة برلين بأن احد نصوص اتفاقية الهدنة تنص على تسليمى الى الانجليز حيا ، ولكنى صممت على عدم الخضوع لهذا التحقير ، لذلك فاننى أطلب منك أن تسلمنى مسدسك » .

فقفز فايولا من مكانه وهرول الى حجرة موسوليني ، فوجده جالسا فوق سريره وممسكا فى يده شفرة حلاقة جيليت ، ويبدو وكأنه يحاول قطع شريانه . وقام فايولا بجمع جميع الآلات الحادة ، ثم جلس وأخذ يبكى قائلا : انه قد أسر من قبل فى طبرق بعد جرحه ، وانه قاسى الكثير من قسوة وعنف الانجليز ، لذلك لن يسلم أبدا اى ايطالى الى هؤلاء الانجليز حتى لو ضحى بحياته .

الفصل السابع

الانقاذ من جران ساسو

١٢ من سبتمبر ١٩٤٣

كنت أعرف أن صديقي هتلر لن يتخلى عني .

– ١ –

فى مساء يوم ٢٦ من يولية كان الكابتن اوتو سكورزينى ، وهو شاب فى الحرس الحديدى الالمانى ، يجلس فى فندق عدن فى برلين يتناول قدحا من القهوة مع صديق قديم له جاء من فيينا . وكان يشعر فى تلك اللحظة بشعور غامض غريب لا يعرف كنهه ، ولا يدرى مصدره . وصمم بناء على هذا الشعور على الاتصال بمكتبه ، وعندما تم الاتصال شعر براحة كبيرة لان سكرتيره الخاص كان يبحث عنه منذ ساعتين بعد أن طلبته قيادة الفوهرر . وأخبره سكرتيره رادل بان هناك طائرة تنتظره فى مطار تمبلهوف فى الساعة الخامسة .

وفى الميعاد المحدد توجه سكورزينى الى المطار حيث وجد مساعده كارل رادل فى انتظاره ولما سأله عن الموضوع اجابه بأنه لا يعلم شيئا وبعد عدة دقائق كان سكورزينى يطير فوق برلين وفى يده زجاجة براندى . وبعد ثلاث ساعات وصلت الطائرة الى مطار بالقرب من بحيرة قرب لوتزن فى بروسيا الشرقية . وكانت هناك عربة مرسيدس فى انتظاره اقلته من المطار عبر الغابات الى مقر الفوهرر لمقابلته ، ومرت العربة بثلاث نقاط مراقبة وحراسة قوية حيث فتشت أمتعته وأوراقه. ثم اقتيد سكورزينى بعد ذلك الى مبنى خشبى حيث جلس فى حجرة مؤثثة تأثيثا جميلا أنيقا . وكان يجلس فى هذه الغرفة خمسة ضباط ، وكابتن من الحرس الحديدى قام بتقديمه الى الجالسين . وبعد لحظات عاد الكابتن الى الحجرة بعد أن خرج منها وأعلن انه سوف يصحب الجالسين الى الفوهرر ويقدمهم له ليقوموا بشرح أعمالهم ونشاطهم للفوهرر . وكان سكورزينى يدخن سيجارة فى تلك اللحظة ، فنزع السيجارة واطفأها ، واخذ يرتعد وهو فى طريقه الى غرفة الفوهرر وبعد أن استقروا فى الحجرة ، دخل عليهم الفوهرر. فوقف الضباط وقفتهم العسكرية ، وحياهم الفوهرر التحية النازية. وقام الكابتن بتقديم الحاضرين اليه على حين كان يوجه الى كل منهم سؤالا ثم يتجه الى الآخر .

وبعد ذلك تحدث الفوهرر الى سكورزينى . ثم خطا هتلر الى الخلف خطوتين وقال : « من منكم يعرف ايطاليا ؟ » وكان سكورزينى

هو الوحيد الذى اجاب بالايجاب فقد سبق أن ذهب الى نابولى مرتين.
وسأل هتلر عن مدى علمه ومعرفته بايطاليا ، فرد عليه سكورزينى ببعض البيانات عن المحور والفاشيه بكلمات حادة ونبرات قوية قاطعة.
ثم قال بطريقة دراماتيكية : اننى نمســـاوى ياسيدى « الفوهرر » .
وأخيرا قال هتلر : « يستطيع السادة الانصراف . ابق انت يا كابتن سكورزينى » .

وحينما انصرف الجميع وبقى سكورزينى ، بدأ هتلر يتحــدث فى حماس فقال : « لدى عمل فى غاية الأهمية والخطورة بالنسبة لك ، لقد خان ملك ايطاليا صديقى وزميلى المخلص فى الكفاح والحرب وقبض عليه ، ولن أسكت على هذا العمل وأجعل ايطاليا تفقد احسن أبنائهـــا فى هذا الوقت وهذه الظروف الحـــالية . ان الدوتشى يمثل بالنســـبة لى عظمة روما القــديمة . وايطاليـــا فى نظامها الجــديد تهجرنا الآن وتخوننا ، لذلك فانى سوف أبقى مخلصا لحليفى وصديقى العزيز.. يجب انقاذه بسرعة » .

وكان حديث هتلر يمتلىء بالحرارة والاخلاص والعطف حتى ان سكورزينى قد تأثر لدرجة كبيرة من هذا الاخلاص والحماس. وعندما بدأ الفوهرر يلقى بتعليماته ، كان يشعر بأن سكورزينى سوف يقــوم بكل أعماله بنجاح تام . وفى هذه الاثناء قال سكورزينى : « اننى أفهم كل شىء يا سيدى الفوهرر ، لذلك سوف أبذل كل ما فى وسعى لانجاح هذه المهمة » وكان هتلر طوال وجوده فى الحجرة لا يحول نظره أبدا عن سكورزينى حتى حياه وخرج . وقد جعلت هذه النظرة سكورزينى يشعر بدوار وتشتت فى الافكار وبعد أن خرج سكورزينى من الحجرة وحيا الفوهرر توجه الى حجرة مجاورة حيث أجتمع بالجنرال ستودنت وبهملر لبحث تفاصيل العملية . وكان هملر فى حال عصبية شـــديد القلق ، وكان يعرف أن سقوط حكومة بادوليو مرهون بالوقت . فقد ذهب ممثلو الحكومة الايطالية من قبل الى البرتغال للتفاوض من أجل اتفاقية صلح منفصلة . وعندما سحب ســكورزينى قلمـــه لتــدوين الملاحظات والبيانات والاسماء التى لم يكن قد سمع عنها من قبل ، تحول اليه هملر صائحا وهو يقول : « هل انت مجنون حتى تدون هذه البيانات فى أوراقك ..؟ ان هذه المعلومات سرية للغاية ، لذلك يجب أن تتذكر فقط الاسماء وتفهم الخطة لان المارشـــال كيسلرنج القائد الألمانى فى ايطاليا نفسه والسفير الألمانى فى ايطاليا لا يعرفان شيئا عن هذا الموضوع » .

ثم ثار هملر مرة اخرى عندما شاهد سكورزينى يدخن وينفث دخانه فى وجهه وصاح فيه : « الا تستطيع أن تفعل أى شىء دون ان تكون السيجارة فى فمك ..؟ انك لا تصلح لهذا العمل ابدا » . وكان الجنرال ستودنت اكثر ودا وصداقة ، فعندما ترك هملر الحجرة بدأ يتحدث بروح طيبة مع سكورزينى ويشرح له الخطط . وكان على سكورزينى أن يطير الى روما فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى وبرفقته حاجب الجنرال ستودنت . وفى الوقت نفسه صدرت الأوامر الى خمسين رجلا من رجال المظلات بالطيران الى جنوبى فرنسا ومنها

الى روما للانضمام الى فرقة المظلات ، الاولى التى سوف ترسل الى ايطاليا .

وكانت الساعة قد دقت معلنة منتصف الليل ، لذلك لم يستطع سكورزينى أن ينام بقية الليل ، بل ظل يعمل من أجل تجهيز جميع قوائم المعدات والمواد الناسفة والاسلحة وجهاز اللاسلكى ، والأدوات الطبية ، وصبغات وملابس التخفى ، واختيار الضباط الذين سيرافقونه فى رحلته ، واعداد البرقيات اللازمة ثم حاول أن ينام بعد ذلك . ولكنه لم يستطع ، بل ظـــل مستلقيا على ظهره فى تراخ حتى أعلنت الساعة السادسة فنهض وأعد وصيته .

وفى هذا المساء نفسه كان سكورزينى يتناول عشـــاءه بملابس جندى المظلات مع الفيلد مارشال كيسلرنج فى فيللته فى فراسكاتى . وكان الحديث الذى دار بينهم يتعلق بعملية اعتقال الدوتشى واختفائه فى يوم وليلة . وقد ذكر كيسلرنج أنه التقى بولى العهد وسأله عن مكان موسولينى فأجابه بأنه ليس لديه اى معلومات عن المكان الذى نقل اليه . ولكن سرعان ما اكتشف سكورزينى بعض الشائعات التى تؤكد وجود موسولينى فى مكان ما فى الشمال .. واستطاع سكورزينى أن يتوصل الى أول مفتاح حقيقى لهذه المشكلة فقد استمع الى حديث بين ضابط اتصال المانى واحد القادة الالمان فى ايطاليا يخبره فيه بأن موســـولينى فى جزيرة مادلينا وبنـــاء على ذلك صمم سكورزينى على الذهاب فورا الى هذه الجزيرة برفقة احد الضباط الالمان المرافقين له فى هذه المهمة . فاختار الضابط فارجر الذى يجيد التحدث باللغة الايطالية .

ولكن قبل أن يتخذ سكورزينى طريقه الى مادلينا اتجه بطائرته الى المانيا لمقابلة هتلر . وقابله بالفعل وشرح له الموقف ثم تقدم اليه بخطة جديدة للقيام بعمليات الخطف ، فوافق عليها هتلر على الفور . وفى اقل من اسبوع كانت الخطة الكاملة قد وضعت بكل دقة وأعدت لها القوارب الحربية المختلفة وعدد من متطوعى رجال الحرس الحديدى والجستابو فى كورسيكا . وأصبح من المفروض أن يتم الهجوم فى نهاية يوم ٢٧ من اغسطس ، ولكن فى هذا اليوم المحدد تم نقل موسولينى الى داخل ايطاليا ، وبذلك فشلت الخطة الاولى وأصبح من الضرورى القيام ببحث جديد لمعرفة المكان الذى نقل اليه موسولينى .

استطاع سكورزينى بعد جهد كبير أن يعرف المقر الجديد الذى نقل اليه موسولينى فى جران ساسو ، لذلك اتصل سكورزينى بأحد الجراحين الالمان وطلب منه اعداد مستشفى أسفل « البرجوريفيوجيو » فى جران ساسو لاستقبال مرضى الملاريا للعلاج . ولم يكن الجـــراح يعرف أى شىء عن المهمة ولكنـــه فوجىء بوجود حامية من الجنـــود الايطاليين ، وعندما استفسر عن سبب وجودها قيل له : أن هـــذه المنطقة أصبحت منطقة تدريبات عسكرية وأن جميع الزوار ممنوعون من دخولها .

وأصبح أمام سكورزينى أحد ثلاث طرق لاتمام العملية :

١ ــ القيام بهجوم من الأرض •
٢ ــ الهبوط بالمظلات .
٣ ــ الهبوط بالطائرة .

ولكنه استبعد الهجوم الارضى نظرا لحاجته الى قوات كبيرة فى عمليات الهجوم ، كما أهمل أيضا عملية الهجوم بالمظلات بسبب ارتفاع هذه المنطقة وعدم استواء سطحها . لذلك أصبحت الطريقة المحتملة الوحيدة هى الهبوط بالطائرة وذلك بالرغم من وجود خطورة كبيرة فى عملية الهبوط لان منطقة الهبوط فى الجانب الخلفى مباشرة من الفندق وتحتل مساحة ضيقة .

وقد بحث الجنرال ستودنت جميع الاحتمالات فوجد أن الخطة الوحيدة التى يمكن ان تنجح هى خطة هبوط الطائرة بالرغم من الصعوبات التى تواجهها . لذلك أصدر أمره بنقل اثنى عشر طيارا من جنوبى فرنسا الى روما للاشتراك فى عملية الخطف وذلك فى الوقت الذى تقوم فيه مجموعة من ضباط المظلات باحتلال هذا الموقع . وقد تقرر اتمام هذه العملية فى فجر يوم ٦ من سبتمبر .

وفى أثناء بحث عملية التنفيذ تقدم كارل رادل باقتراح لضم ضابط ايطالى الى فرقة العمليات لتضليل قوات الحرس الايطالية ولمنع اغتيال موسولينى وقد تم اختيار الجنرال سوليتى ، وقام الجنرال ستودنت بالاتصال به ليخبره ان الفوهرر نفسه قد اختاره شخصيا منعا لاراقة الدماء ووافق الجنرال سوليتى على ذلك فورا •

ولكن نظرا لعدم وصول الطيارين فى الميعاد المحدد فقد تقرر تأجيل تنفيذ العملية حتى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاحد ١٢ من سبتمبر وفى الساعة الواحدة من هذا اليوم قام الطيارون بالطيران فوق مطار براتيكى دى مارى على ارتفاعات مختلفة لدراسة المكان بدقة . وفى الساعة الثانية الا عشر دقائق حلق سكورزينى فوق الفندق الذى ينزل به موسولينى وشاهد سطحه وأصدر أمره بانزال حبال . ولكن الطيارين الآخرين الذين اندفعوا فى الهبوط فى صمت فوجئوا بمشاهدة المطار منحدرا انحدارا قويا لدرجة يستحيل معها الهبوط بسلام .

ـ ٢ ـ

كان موسولينى يجلس أمام نافذة حجرة الجلوس وهو يستمع الى أزيز الطائرات ولا يعرف ماذا يدور حوله ولكنه استطاع أن يرى عددا من الرجال يلقون بأنفسهم من طائراتهم التى أخذت تندفع ببطء ولم يستطع أن يتعرف عليهم ولكن عندما دقق النظر ورأى أن واحدا منهم ضابط ايطالى أخذ يصيح قائلا : لا تطلقوا النار .. لا تطلقوا النار ، انه جنرال ايطالى . فاندفع الملازم فيولا الى حجرة موسولينى وهو يلهث ويصيح : ألمان .. ألمان ..

وفى هذه اللحظة كان سكورزينى يندفع بطائرته الى اسفل والى اعلى فشاهد جهاز استقبال وارسال لاسلكيا فحطمه واخذ يبحث عن مكان يستطيع منه الهبوط بعد أن استطاعت قوة المظلات التى اسقطت أن تسيطر تقريبا على الوضع ، وكان فى هذه الاثناء قد صاح فى موسولينى وهو يقف فى النافذة أن يبتعد عن النافذة ويدخل داخل الحجرة . فسمعه الحرس وسادت الفوضى المنطقة واندفعوا داخل القصر تاركين وراءهم مدافعهم خوفا من قنـــابل الفدائيين الالمـــان ومدافعهم . ووصل رجال سكورزينى داخل القصر ، على حين كان الحرس يقف فى حال ذهول وارتبـــاك تامين ، مندفعين الى حجزة موسولينى ، وفى هذه الاثناء كان سكورزينى قد هبـــط من طائرته بمظلة ونزل سالما الى الارض وتوجه مباشرة الى الفندق وطلب من قائد الحرس التسليم على الفور ، فطلب قائد الحرس امهاله دقيقة واحدة للتشاور خرج بعدها وهو يحمل فى يده قنينة خمر وهو يصيح : فى نخب الانتصار . وتقدم سكورزينى من الدوتشى وقال له :

« لقد ارسلنى الفوهرر لانقاذكم وقد اصبحتم سعادتكم حرا » ثم سكت سكورزينى وتقدم منه الدوتشى وعانقه ثم ضمه الى صـــدره وقال له : « لقد كنت اعرف ان صديقى أدولف هتلر لن يتخلى عنى أبدا » وكان يتحدث بصوت واضح مسموع ولكن سكورزينى صدم عنـدما شاهد مظهره والآلام التى كانت تنعكس على وجهه والملابس التى كانت لا تليق بمقامه .

واصبحت مشكلة سكورزينى هى كيفية الخروج من هذا المبنى وكان المفروض على حسب الخطة الموضوعة أن تقوم طائرة من مطار اكويلا بحمل السجين الى المانيا ولكن عدم امكانية الاتصـــال بالمطار نتيجة تحطيم أجهزة الارسال جعلت سكورزينى يشك فى امكانية نجاح هذه العملية بعد نجاح الخطوة الهامة فيها وخرج موسولينى الى العراء وهو ينتعل حذاء سميكا من النوع الذى يســـتخدم فى التزحلق على الجليد .

وكان موسولينى قد بدأ يشعر بعودة سطوته وسلطانه وبدات نظرته تتخذ الشكل الدكتاتورى المعروف على حين اصطفت له القوات التى كانت تحرسه لتحيته التحية الفاشية ، ثم صافحهم واستدار الى حيث كانت تقف طائرة بمحرك واحد استقلها هو وسكورزينى وبعض ضباط المظلات واتجهوا بها الى الجنوب الغربى تجـــاه وادى أفيزانو على ارتفاع لا يزيد على مائة قدم ، وكان موسولينى يبدو أقل خوفا واضطرابا فى الوقت الذى بدأ فيه يشرح للجالسين معه معالم الطريق والقرى التى يمرون بها .

واستمرت الطائرة فى طريقها حتى وصلت فييناعاصمة النمسا ، وحينما هبطت الطائرة فى المطار توجه موسولينى الى فندق كونتيننتال حيث كانت قد أعدت له ملابس جديدة . ثم اتصل به هتلر تليفونيا لتهنئـــته على الهروب ولكنه كان فى حال لا تســـمح له بتبـــادل الحديث ، لذلك شكر الفوهرر على اهتمامه وقال له باختصار :

« اننى تعب جدا واحتاج الى راحة » . وفى الصباح كان موسوليني قد شعر بانتعاش وشعر بتبدل في حياته وخاصة بعد أن حلق ذقنـــه واغتسل وارتدى ملابس نظيفة واخذ يتلقى مكالمات عدة تستفسرعنه ، وكان يتحدث مع المستفسرين والمهنئين عن مستقبل الفاشية في ايطاليا وعن اتجاهه الى تغييرها الى حزب جمهورى .

وكان يقول دائما : « لقد ارتكبت خطأ جسيما لذلك يجب أن ادفع ثمنه وهو انني لم أكن أعرف أن القصر الملكى الايطالى اكبر عدو لى وسيظل كذلك ، وكان يجب على أن أعلن أن ايطاليا جمهورية بعد حملة الحبشة » .

وفى منتصف يوم ١٣ من سبتمبر ترك فيينا الى ميونخ حيث كانت زوجته راشيل وأطفاله ينتظرونه فى مطار ريم ، وفى صباح اليوم التالى وصلت ابنته ايدا ، وكان اللقاء صعبا نظرا لمـــا لاقته من صعوبات بعد رفض التصريح لها بالخروج من ايطاليا وقيـــام الالمان فى روما بتسهيل عملية هروبهـــا الى ميونخ ، ولكن زوجها شـــيانو لم يلاق صعوبات عند خروجه الى المانيا لرغبة الحكومة الايطالية فى التخلص منه ، ولكنه واجه صعوبات لمراقبة الجستابو له . وبعد ذلك مباشرة طار موسولينى من ميونخ الى مقر قيادة الفوهرر فى روسيا الشرقية لدراسة الاوضاع النهائية .

الفصل الثامن

الاجتماع فى مقر قيادة الفوهرر

١٥ من سبتمبر ١٩٤٣

« لقد جئت للاستماع الى تعليمات جديدة »

وصلت الطائرة « جو ــ ٥٢ » التى كانت تقل موسولينى الى مطار مركز القيادة فى الوقت الذى بدأت فيه الشمس تغيب فى الافق ، وبعد أن استقرت الطائرة فى المطار خرج منها موسولينى فوجد هتلر يسير نحوها والدموع تطفر من عينيه ، فالتقيا وتصافحا وعانق كل منهما الآخر فى صمت وظلا واقفين وأيديهما متشابكة . وكان واضحا تماما ان هذا المشهد قد أثر فى هتلر تأثيرا عميقا .

وبعد ذلك مباشرة أجتمع الاثنان وحدهما فى جو مختلف تماما عن الذى كان يتوقعه موسولينى ، فقد ماتت آمال موسولينى بعد أن كانت قد انتعشت بسبب التهانى والمديح الذى لاقاه فى فيينا وميونخ ، وكان موسولينى يبدو فى هذا الاجتماع فى غاية الانهيار والقلق وخاصة عندما نبهه هتلر فى بداية الاجتماع الى الحقائق تماما كما فعل الملك فى يوليه الماضى ولما سأله هتلر : ماذا ينتوى عمله ؟

اجاب الدوتشى انه يفضل أن يعتزل الحياة العامة حتى يجنب ايطاليا حربا اهلية ، ولكن هتلر ثار على ذلك وقال : ان هذا كلام لا معنى له فانه يبين للعالم أن الدوتشى يؤمن بأن ألمانيا على أبواب الانهيار ، لذلك يجب على الدوتشى أن يعيد بحث الموضوع من جديد لان عدم عودة الحكومة الفاشية الى الحكم فى ايطاليا سوف يؤدى الى انهيار الشعب الايطالى ، كما أن الجيوش الالمانية التى فى المناطق الشمالية سوف تضطر الى فرض الاحكام العسكرية القاسية وقد تمتد هذه الاحكام الى مناطق « البو » و « الالب » وتتخذ اجراءات قد تتصف بالبربرية والتوحش واقترح هتلر أيضا ضرورة انقاذ ايطاليا عن طريق اقامة حكومة فاشية بزعامة أحد الايطاليين الذين هربوا الى ألمانيا من مثل بافولينى وفارنياتشى وريناتو ريشى ويرزيوزى أو حتى فيتوريو موسولينى .

ثم عاد هتلر وغير رأيه وصمم على أن يكون الدوتشى هو نفسه الذى يتولى هذه الحكومة التى سوف تعلن من راديو « راستنبرج » فى ١٩ من سبتمبر على أن يعود الدوتشى الى ايطاليا ويقدم خونة يوم

٢٥ من يولية الى المحاكمة ، وينفذ حكم الاعدام فيهم ويسمح كذلك بقيام القوات الالمانية باحتلال المقاطعات الشمالية الشرقية من ايطاليا وهى « التواديجى » و « فينيسيا » و « جيوليا » و « ترنتينو » لصد اى هجوم قد يأتى عن طريق يوغسلافيا . كما يجب الظهور أمام العالم أجمع بأن دول المحور تقف موقفا متضامنا .

وفى نهاية الحديث اعلن هتلر أنه قرر تعيين سفير جديد يدعى « رودلف رعن » فى روما ، وكان حاضرا هذه المقابلة . وترك موسولينى حجرة الفوهرر وهو فى دوامة ، لذلك ذكرت ابنته « ايدا » بعد أن قابلته بعد مرور عدة أيام على هذا الاجتماع انه قد فقد ارادته ، وفى الوقت نفسه كان هتلر قد أخبر « جوبلز » بأنه قد شعر أن موسولينى الذى عاد به سكورزينى أصبح رجلا أقل بكثير من الرجل الذى عرفه من قبل .

وقد علق « جوبلز » على خيبة أمل هتلر بأن موسولينى كان يبدو غير مستقر حول فكرة اعتقال خونة يوم ٢٥ من يولية واعدامهم لأن الدوتشى مثله مثل أى ايطالى يشعر بارتباطه بالعائلة لذلك لم يكن عنده الرغبة فى معاقبة أى انسان ، فمثلا عندما اخبره هتلر أن « شيانو » أصبح شخصا مكروها فى القيادة الالمانية أخبره موسولينى بأنه مهما كان فهو زوج ابنته ، ولكن هتلر اعترض على قوله بحدة وقال : ان ذلك يجعل جريمته وخيانته أكثر شدة ، لذلك يجب معاملة الخيانة فى ايطاليا بحزم وعزم وتصميم ، ويجب أن تظهر العقوبة أمام العالم أجمع .

واعلن موسولينى بعد ذلك بصفته ايطاليا انه قد قبل جميع شروط هتلر مهما كانت قاسية ومهما ادت الى تدمير ايطاليا . وكان « كيسلرنج » قد اعلن من قبل أن جميع الاراضى الايطالية التى خلف الجبهة الالمانية أصبحت منطقة حرب خاضعة للاحكام العسكرية ، وأنه قد صدرت عدة قرارات لحماية الاوضاع ، ولكن موسولينى احتج على هذه الاوامر واعتبرها نوعا من اخضاع ايطاليا للحكم الالمانى وقال جملته المشهورة : « اننى قد جئت الى ألمانيا لتلقى التعليمات » ..

وكان موسولينى يبدو كشخصية مغلوبة على أمرها فى الوقت الذى كانت فيه ملابسه تبدو فضفاضة عليه وغير منسقة ، الامر الذى دعا هتلر الى اصدار أوامره الى البروفيسور « موريل » بالقيام بفحص موسولينى واعطائه العلاج اللازم .

وعاد موسولينى الى ميونخ فى ١٧ من سبتمبر وكانت صحته قد تقدمت كثيرا ، ولكن نظرات اليأس والتعب كانت تبدو فى عينيه ، وفى مساء اليوم التالى اغلق على نفسه حجرته لاعداد خطبة موجهة الى الشعب الايطالى عن طريق راديو ميونخ .

وقد كتبت زوجته : « راشيل » تقول : « لقد ذهبت معه الى حجرة صغيرة فى محطة الاذاعة فى « كارل بلاتس » وكانت هذه هى

المرة الثانية التى يلقى فيها موسولينى خطابا بالاذاعة بعد أن تعود القاء خطبه على العامة ، لذلك لم يبلغ موسولينى درجة الجـــودة والاتقان المعروفة فى خطبه » . وكان صوته يبدو محموما على حـين كانت الكلمات تتـــدفق من فمه بتلعثم حينما كان يخبر مستمعيه عن سجنه وعن هروبه الدراماتيكى ، ثم طلب من شعبه أن يسير وراءه الى النصر .

ولكن « جوبلز » و « هتلر » لم يتوقعا قط أن يتبعه الشعب فقد نزلت ايطاليا « كشعب وكأمة عن عظمتها » ..

الفصل التاسع

الرئيس فى جرنانو

العام الأول

٢٧ من سبتمبر ١٩٤٣ — ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٤

« لقد كرسنا انفسنا لأوهامنا «هتلر وأنا»
كزوج من المجانين . لقد بقى أمامنا أمل واحد
هو خلق أسطورة حولنا » .

— ١ —

ظل موسولينى فى المانيا فترة عشرة أيام أخرى فى ميونخ أولا ثم انتقل الى « شلوز — هرشبرج » واستمر فى قلعة هناك فى أسفل جبال الألب البافارية بالقرب من «بارميش» وفى هذا المكان وضع الخطة الكاملة لاقامة الحكومة الجديدة فى ايطاليا واعادة تاسيس الفاشية ، وفى الفترة بين ١٥ — ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ أصدر ستة أوامر من مدينة « راستنبرج » تتعلق بالجمهورية الاشتراكية الايطالية ، وقد منحت هذه الاوامر موسولينى جميع السلطات العليا لادارة الفاشية فى ايطاليا واعادة تكوين الحزب الفاشى باسم جديد هو « الحزب الفاشيستى الجمهورى partito fascista Repubbicano » ، وكذلك اعادة تكوين جيش الماليشيا والتعاون مع المانيا ومعاقبة الخونة . واصدر موسولينى قرارا بتعيين « السندرو بافولينى » سكرتيرا للحزب الجديد و « ريناتوريتشى » قائدا لقوات الماليشيا .

وفى يوم ٢٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ عاد موسولينى الى « روكا دل كاميناتى » بصحبة الجنرال « كارل وولف » رئيس الجستابو فى ايطاليا حيث استقبل عددا من أعضاء حكومته الجديدة الذين أقسموا أمامه يمين الولاء كرئيس للجمهورية ، وقد أحضر أحد عملاء الجستابو هؤلاء الوزراء الى المنزل بعد أن أصدر « هملر » أوامره بتنفيذ هذه الخطة .

وكانت القوات الالمانية فى حال تعبئة تامة واستعداد للطوارىء فى الوقت الذى كان موسولينى يحاول فيه استعادة سلطانه وقوته . وقد اقترح الالمان على موسولينى ان تكون عاصمة حكومته الجديدة مدينة «سالو» التى على بحيرة « جاردا » بدلا من روما التى يمكن تركها للحلفاء ، وعلى هذا الأساس تحرك موسولينى الى فيلا « فلترنيلى » فى مدينة جرنانو

الصغيرة على جانب البحيرة التى تبعد عن مدينة « سالو » شمالا بعدة أميال وكانت القوات الالمانيه تجوب هذه المنطقة باستمرار لدرجه أن موسوليني نفسه اضطر أن يشكو من هذه الاجراءات ويقول : « اننى لا أريد أن يظن أى انسان اننى سجين فى هذه المنطقة » وكان الجنود الالمان يتبعونه فى غدوه ورواحه فى لوريات عدة كما كان العملاء الالمان يستمعون الى مكالماته التليفونية على حين كان كل من الجنرال « وولف » والسفير « رهن » والدكتور « زكريا » والكولونيل « دلمان » يتلقون أوامرهم جميعا من « هملر » بعدم الابتعاد عن موسوليني ومراقبة زواره جميعا ، لذلك كان موسوليني يقول : « ان « وولف » و « دلمان » همـا سجانای الخصوصيان » .

أما بالنسبة للفكرة التى فرضها عليه هتلر هى الخاصة بمعاقبة خونة يوم ٢٥ من يوليه فلم يعد موسوليني يعترض عليها ، بل قبلها وأصدر أوامره بضرورة البحث والقبض على هؤلاء الاشخاص وتقديمهم الى المحاكمة ، وكان يقول فى ذلك : انه يجب أن يظهر للعالم كأنه أنه قادر على رد المؤامرة الى الملك وعلى استعادة شعبيته كزعيم للفاشية فى ايطاليا .

وفى ٢٤ من نوفمبر ١٩٤٣ أصدر قرارا باقامة محكمة خاصة بتنفيذ وعود هتلر وللنظر فى مصالح الدولة العليا فى وقت الحرب ، وبدأت المحاكمة فى الساعة التاسعة من يوم السبت ٨ من يناير ١٩٤٤ فى قاعة « كاسل فيشيو » فى « فيرونا » وكان أعضاء المحكمة يرتدون القمصان السوداء ويجلسون على منضدة طويلة معلق خلفها قطعة كبيرة من القماش الاسود مطرزة بشعارات الفاشية وكان قد وضع على يسارهم مقعد طويل يجلس عليه ستة من المسجونين ، وعن يمينهم يجلس الصحفيون ورجال السينما ، ويجلس أمامهم المحامون ، ثم وضعت مقاعد المتفرجين خلف مقاعد المحامين ، وقرأ كاتب الجلسة قرار الاتهام بصوت مزعج ، اتهم فيه المذنبين « بالتآمر ضد سلامة واستقلال الدولة . ومحاولة قلب نظام الحكم يوم ٢٥ من يوليه ١٩٤٣ ، استنادا الى توهمهم بأن ذلك سوف يقود البلاد الى صلح مع الحلفاء ، واستخدموا فى ذلك عمليات عسكرية وأعطوا العدو كل مساعدة وتسهيلات » .

وكان أول هؤلاء المتهمين هو المارشال العجوز « دى بونو » الذى وقف بزيه العسكرى وجميع الاوسمة التى حصل عليها منذ الزحف على روما ثم رفض قبول اتهامه بالخيانة ولم يكن فى ذلك الوقت يشعر بأى خطر ، لانه كان يعرف أنه أخلص لموسوليني أكثر من عشرين عاما الأمر الذى قد يدفع موسوليني الى النظر فى عدم الحكم عليه ، وكان الملك و « بادوليو » قد توجها جنوبا الى « برنديزى » ولكن « دى بونو » لم يذهب معهما ولم يحاول أيضا أن يلحق لحيته التى تميزه ، بل توجه الى « فيرونا » فى عربته الخاصة وسلم نفسه وهو على ثقة بأن موسوليني سوف يراعى حكم الصداقة القديمة ، ولكنه عندما سمع طلب المدعى باعدامه وقف صائحا وهو يقول : « ان هذه أمور سوف تؤدى الى

الانهيار .. اننى أشعر أن هناك شخصا قد قرر قتلى . اننى رجل عجوز وعجوز جدا ، لذلك فانكم تأخذوننى من العدم الى العدم ، لذلك أرجوكم أن تسرعوا فى تنفيذ حكمكم » . ثم جلس فى مقعده بين همهمة وشفقة الجمهور .

وعندما أعلن اسم « كارلوبارتشى » وزير الزراعة واتهامه بالاشتراك فى المؤامرة ، أعلن بكل هدوء أن جميع المسئولين الايطاليين كانوا يقفون ضد موسولينى ويرغبون فى عقد اتفاقية صلح مع الحلفاء لذلك عملوا على الاطاحة بالدوتشى ، ثم أعلن أنه كانت هناك اعتراضات من جانب أعضاء المجلس الأعلى ولذلك لم تكن هناك مؤامرة بالمعنى المعروف .

ثم نودى بعد ذلك على « شيانتى » الذى أعلن أنه قد سحب تأييده لمشروع جراندى ، ونادى بالتأييد المطلق للدوتشى ، ولكنه لم يذكر أيضا أى شىء عن المؤامرة كما فعل « جوتاردى » رئيس الاتحـاد الفاشيستى للعمال الصناعيين الذى كان يأمل فى التخلص من نفوذ الدوتشى ومسئولية القيادة الحربية فى الحرب .

واستمرت الاتهامات توجه الىعدد آخر من أعضاء المجلس الأعلى حتى وصـلت الى « شيانو » الذى انكر انـكارا باتا اشتراكه فى أية مؤامرة للتخلص من الفاشية والدوتشى وأعلن أن قرار جراندى لم يكن يقترح قط مثل هذا الامر « كما أننى لم أكن أتصور أن هذا القرار سوف يؤدى الى انهيار النظام الفاشيستى » .

ولكن المدعى العـام اتهمه بأنه قـد وافق على قرار جراندى قبـل الاجتماع بيوم وهـذا يعنى أنه كان يعـرف المؤامرة من قبـل ولم يخطر الدوتشى بها فرد عليه شيانو قائلا : « نعم لقد علمت بمشروع القرار قبل تقديمه بساعاتقليلة وكان جراندى قد أخبرنى بأن سكورزا قد سلمنسخة من هذا القرار الى الدوتشى نفسه لذلك كان الدوتشى يعرف مقدما هذا الموضوع وما سوف يدور فى المجلس الأعلى » .

وبعد أن انتهت المحاكمة فى اليوم الثالث صدر الحكم باعدام هؤلاء الخمسة وهم :

دى بونو و باريتشى و جوتاردى و شيانو و مارينللى .

ثم تقدم بعض الأفراد من ذوى النفوذ بطلبات لتخفيف الحـكم نظرا لخدماتهم وماضيهم المشرففى تاريخ الفاشية فى ايطاليا ، ولكن موسولينى رفض جميع هـذه الطلبـات بسبب الضغط الواقع عليه من السـلطات الالمانيـة ، واستطاعت « ايدا » موسولينى زوجة « شيانو » أن تهرب الى سويسرا بجميع مذكرات زوجها وبعض الوثائق الهـامة التى تتعلق بالحرب .

وفى فجر اليوم التـالى اقتيـد الرجال الخمسـة الى ساحه مجـاورة للسجن حيث تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم رميا بالرصاص .

بعد مرور ساعتين على تنفيذ الحكم تولى موسولينى رياسة مجلس الوزراء وكان أول كلام نطق به هو : «لقد أخذت العدالة مجراها» وعندما ترك هذا الاجتماع توجه الى حجرته وكان لم يتناول « فطوره » ، وقد ذكرت زوجته راشيل أنه أخذ ينهنه ويبكى فى حال من اليأس بعد أن تيقن تماما موت « شيانو » زوج ابنته وبقية رفقائه ، وقال فى هذا الوقت: « اننى أشعر تماما أن الشعب الايطالى قد سحب عطفه وتأييده لى بعد هذا الحادث » .

وبعد أن هدأت أعصاب موسولينى اجتمع بوزير الخارجية بعد الظهر وقال له : « الآن وبعد أن أطحنا الرءوس الى الأرض يجب أن نستمر فى عملنا حتى نهايته » وعلى هذا الاساس أصدر أوامره بالقيام بحركة اعتقال واسعة النطاق ، وفوض « تامبرونى » رئيس الشرطة جميع السلطات لتنفيذ هذه العمليات ، ولكنه بعد مرور عدة أيام تراجع وسحب أوامره وتعليماته وأصدر أمرا بالعفو الشامل .

وفى ١٤ من نوفمبر اجتمع الحزب الفاشيستى الجمهورى فى فيرونا لوضع الاسس العملية والمذهبية التى سوف يسير عليها ويطبقها فى نظام الحكم ، وقد تم افتتاح الجلسة الاولى بقراءة رسالة من الدوتشى أكدت المبادىء الفاشية الثورية والامانى التى أعلنها الحزب نفسها فى عام١٩١٩ وكانت هذه المبادىء تهدف الى زيادة رفاهية العمال .

وقد وجهت اتهامات جديدة الى الفاشية على حسب نشاطها الذى مارسته فىعهدها القديم ، لأنها قد أهملتالاصلاحات الاجتماعيةوتعاونت تماما مع العناصر الرأسمالية الاستغلالية ولم تهتم الا بالبحث عنالسلطة والقوة .

وفى ٢١ من أبريل سنة ١٩٤٤ توجه موسولينى الى المانيا لمقابلة هتلر ، واستقبله هتلر بحرارة فى « سالزبرج » وفى هذا الاستقبال أكد له موسولينى أنه يعتقد اعتقادا جازما أن الألمان سوف ينتصرون فى الحرب . وكان جو المباحثات وديا ومشجعا وخاصة بعد أن حضره « جرازيانى » و « مازولينى » و« فيلبو انفوسو » السفير الايطالى الجديد فى برلين .

وقد تحدث موسولينى عن الاحتلال الالمانى لمنطقتى التوديجى وتريستا ووجه نظر هتلر الى سوء المعاملة التى يلقاها العمال الايطاليون فى المانيا . وكان هتلر ودودا فى هذه المباحثات لذلك وعد بالنظر فى جميع هذه الامور .

وبعد مرور ثلاثة أشهر على هذا الاجتماع توجه موسولينى مرةأخرى الى المانيا لمقابلة هتلر ولكنه وجده فى هذه المرة ينتظره على رصيفالمحطة وكان مصفر الوجه قلقا يبدو عليه الشحوب التام وقدم اليه يده اليسرى لتحيته واعتذر له لانه قد حدثت له حادثة منذ لحظات قام بها الكولونيل

جراف كلوسى فون ستوفن برج الذى وضع عدة قنابل فى مقر اجتماع الفوهرر فأدت الى قتل أربعة رجال • ورد عليه موسولينى قائلا : ان العناية الالهية تحرسك مرة أخرى ، فرد عليه هتلر قائلا : ان القدر قد خلقه لينصره دائما على أعدائه • وبدأت المناقشات حول الاسباب التى أدت الى عدم انتصار المانيا حتى الآن فى الحرب • وكان هتلر يقف بين الحين والآخر ويتحدث عن زعامته وعناية الاله به واختياره له لانقاذ أوربا والعالم • وكان موسولينى ينظر اليه بدهشة وأخذ يعتقد أن هتلر قد أصيب بالخبل وجنون العظمة الالهية .

ولم يسفر هذا الاجتماع عن أية نتيجة كما لم يجرؤ موسولينى على المطالبة بالطلبين السابق ذكرهما • وكان الشعب الايطالى قد تعود أن يرى موسولينى عائدا وهو ممتلىء حماسا واشتعالا بآراء هتلر ، ولكنه شاهده هذه المرة وهو يعود دون أن يبدو عليه أى أثر لهذه المقابلة •

وبعد مرور شهر على زيارته لهتلر فى بروسيا قرر موسولينى القيام بجولة تفتيشية للجبهة ، وكان الجنود يستقبلونه بالهتافات والحماس على حين كان يقدم النصائح والتعليمات الى القادة العسكريين والاقتراحات التى لا تصلح للنواحى العملية فى الجيش •• وكان كيسلرنج القائد الالمانى فى ايطاليا يضطر أن يستمع اليه بأدب برغم أنه كان يعرف مقدما أن ما يقوله موسولينى لا يصلح أبدا للتطبيق فى الجيش •

وعاد موسولينى الى جرنانو ، وقد امتلأت نفسه بثقة جديدة وأمل جديد ، ولذلك أخبر زوجته راشيل بأن الجنود الألمان بالذات قد أظهروا حماسا منقطع النظير • ولكن هذا الامل قد أخذ يتلاشى بسرعة خلال الاسبوع التالى وعاد الى حاله السابقة من اليأس •

وفى شهر يونية ذهب اليه اوتوسكورزينى لزيارته فوجده هادئا لدرجة كبيرة ، ولكن اليأس والتشاؤم كانا قد تمكنا منه ولم يعد الرجل القوى الذى كان يوجه الوزراء ويشرف على نشاطهم ، بل تركهم يسلكون الطريق الذى يختارونه وأصبح يبدو كأنه فيلسوف أكثر من كونه رئيسا للدولة لقد تحدث اليه عن التاريخ الالمانى الذى كان يعرفه جيدا وعن القواعد الفلسفية للفاشية ، وكيف يمكن أن تتطور هذه القواعد فى المستقبل •

وبعد مقابلته مع سكورزينى كان دائم التفكير والتأملات ، وذلك بعد أن وصلته أخبار اصطدام الايطاليين بعضهم ببعض فى خطوط الحرب ذلك الامر الذى أدى فى النهاية الى فوضى عارمة أدت الى اشتعال الحرب الأهلية بين الايطاليين فى نهاية عام ١٩٤٤ •

الفصل العاشر

الحرب الأهلية

نوفمبر ١٩٤٣ – ديسمبر ١٩٤٤

« لقد قررت ألا يبقى الحزب الفاشيستى بعد ذلك منظمة سياسية بل يجب أن يصبح منظمة عسكرية » .

بدأت المقاومة الفعلية ضد وجود الالمان فى ايطاليا قبل اعلان الجمهورية الاشتراكية بفترة طويلة . وحينما أوشك عام ١٩٤٣ أن ينتهى كانت لجان التحرير القومى السرية تنتشر فى غالبية مدن ايطاليا وقراها فى الشمال ، وبجانب هذا تم تكوين عصابات من الهاربين من الخدمة فى الجيش الايطالى ومن بعض المجرمين والمحترفين والمغمورين وأعداء الفاشية . وقد انضم الى كل هذه الفرق كثير من الوطنيين الايطاليين الذين كانوا يرون أن خلاص ايطاليا لن يأتى الا بهزيمة ايطاليا ، وقد ضمت هذه اللجان السرية عددا من بعض الضباط الذين عرفوا محاولات جرازيانى المخاصة لانشاء جيش وطنى ايطالى بعيد عن التبعية لألمانيا وعدم قدرته على تحقيق هذا الهدف . وقد تولى الجنرال روفائيل كوردونا رياسة اللجنة التى ضمت هذه الفئة من الضباط .

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٣ عقد أول اجتماع فى مونشيرو فى بيدمونت ، وقد تقرر فى هذا الاجتماع العمل على زيادة نفوذ هذه اللجنة عن طريق تحريض كل من الالمان والفاشيين على القيام بالاعمال الانتقامية ضد الشعب الايطالى نفسه . ثم تقوم هذه اللجنة تحت ستار حماية الشعب الايطالى من هذه الاعمال الانتقاميه باغتيال الضباط الالمان والفاشيين . كما وافقت اللجنة أيضا على نسف الجسور وخطوط السكك الحديدية وشبكات الكهربا والتليفون مهما كانت أهميتها السياسية .

كان النفوذ الشيوعى مسيطرا تماما على هذه الحركة وأصبح فيما بعد العنصر الوحيد تقريبا الذى يمارس سلطة التوجيه والتنفيذ معا . وكانت هناك عصابات تتكون جميعها من الشيوعيين وتسير على النهج والنظام السوفيتى نفسها على حين كانت هناك بعض العصابات التى اضطرت أن تقبل القليل من الشيوعيين داخل تنظيماتها .

وفى خلال شتاء سنة ٤٣ – ١٩٤٤ بدأت بعض العناصر فى المشاغبة وفى تنفيذ بعض الخطط والقيام بعمليات اغتيال فردية وانتقامات خاصة .

ولكن النظام الفاشيستي في المنطقة الايطالية التي يحتلها الالمان لم يكن يخشى خطورة هؤلاء الاعداء .

وفي ٢٣ من مارس أي في العيد السنوي لتأسيس الفاشية قامت لجنة التحرر القومي في روما بتنظيم مذبحة لكي تكون تحريضا للجمعيات التي في الشمال على القيام بهذه الأعمال نفسها ، ففي مساء هذا اليوم وضعت كمية من المفرقعات في عربة ودفعت الى طريق رازيللا حيث مركز القيادة الالمانية ، وقد أدى هذا الانفجار الى مصرع ٣٣ جنديا ألمانيا وعدد قليل من المارين من الايطاليين ، ونتيجة لذلك قامت القوات الالمانية باعتقال ٣٣٥ شخصا وأعدمتهم في اليوم الثاني في طريق ارديا ، ودفنوا في كهوف فوس ارديا تينى .

وانتشرت أخبار هذه المذبحة المروعة في كل أنحاء ايطاليا وأدت الى زيادة الاعمال الانتقامية في كل مكان . وقد قامت السلطات الالمانية باعدام مائة من رجال المناجم في احدى القرى الصغيرة . وبعد مرور عدة أسابيع على هذا الحادث أعلنت السلطات تنفيذ حكم الاعدام في ٤٠٠ سجين و ١١٠ من الهاربين من الخدمة في الجيش ، وبعد ذلك بفترة قصيرة تم ترحيل ٢٠٠٠ رجل بالقوة الى المانيا بعد أن تم نسف الجسور المقامة على النهر في بيدمونت ، وفي ٢١ من يونية أعلن موسوليني أن الحزب الفاشيستي لا يمكن أن يستمر كحزب سياسي بل يجب أن يتطور الى منظمة عسكرية . وأعلن ابتداء من الأول من يولية أن جميع الأعضاء الذين تتردد سنهم بين ١٦ عاما و ٦٠ عاما وليسوا في القوات المسلحة التابعة للجمهورية الايطالية يجب أن يتقدموا لارتداء الملابس الرسمية والانضمام الى الجيش « جيش القمصان السوداء » وذلك للمحافظة على النظام العام وعلى حياة المدنيين ضد العدو وضد الأعمال الانتقامية التي يقوم بها بعض المخربين .

وقد فسر الكثيرون هذه المعركة على أنها اعلان للحرب الاهلية ، وقد ازدادت أعمال التنكيل واجراءات الانتقام ضد اللجان السرية من جانب التنظيمات الفاشية ، وضد الشعب الايطالي من جانب الجيش الالماني المرابط في الاراضي الايطالية : فقد قام الجيش الالماني بذبح جميع سكان قرية سانتا أناديستازيما في أغسطس سنة ١٩٤٤ ، وقام أيضا فيما بين ٢٨-٣٠ من سبتمبر بقتل ٧٠٠ شخص في مارزا بوتو جنوبي بولونا ولم يكن الجيش الفاشيستي يعرف كل هذه الأعمال من جانب الألمان في أوانها .

وقد لاحظ موسوليني زيادة الوحشية بين الفاشيين وأعداء الفاشية على السواء ، لذلك كان يقول : أن أيام الرحمة والرأفة قد انتهت . وقد حاول تهدئة الأوضاع فأصدر أمره الى حاكم مدينة تورين للتفاوض مع الجنرال اوبيرتي الذي كان قائدا للجيش الايطالي الرابع وأصبح قائدا من قواد المنظمات السرية ، فقد تعثرت المفاوضات بعض الوقت ثم وافقت السلطات الايطالية بعد ذلك على تسليم ٥٧ ضابطا من المعتقلين الى اللجان

السرية على أساس أن هذا الاتجاه قد يخلق نوعا من التفـاهم والتوفيق بين الفاشيستيين وأعداء الفاشية •

وكان موسوليني يتخبط في سياسته تجاه هذه العناصر ، فتـارة يصدر أوامره باعدام المعتقلين من أعضاء المنظمـة السرية ، وتارة أخرى يصدر العفو عنهم بحجة أن هذا الاجراء سوف يؤدى الى وقف تيار العنف وعمليات الانتقام •

حاول موسوليني أن يكتسب الشعب في شـــمالى ايطاليا الى صفه عن طريق تأميم الصناعات ولكنه فشل . وكان يحاول اتباع هذه السياسة الاشتراكية لحل المشكلات الاقتصادية التي واجهتها الجمهورية ، ولاكتساب العمال في هذه المنطقة الى جانبه • وعندما اجتمعت لجنة التحرر القومى فى روما وأصدرت أمرها بالقيام باضراب شامل فى الجمهورية لم يهتم موسوليني كثيرا بخطورة هذا الامر ، وكان كل ما يقلق موسوليني نفسه النتائج التىسوف تترتب على اغلاق المصانع وخروج مايزيد على ٢٥٠ر٠٠٠ فى مظاهرات عامة ، وعندما طلب الالمان من موسوليني اتخاذ اجراءات سريعة وحازمة لوقف هذا الاضراب ، وموسوليني ذلك قائلا : ان هناك ما يكفيه من الحرب القائمة بين الايطاليين بعضهم وبعض •

ولم يكن الخوف من قيام حرب أهلية بين الايطاليين داخـل ايطاليا نفسها هو الذى يشغل ذهن موسوليني ، وانما كانالخوف من قيام صراع دموى بين الايطاليين فى جبهـات الحرب ، الامر الذى سيؤدى الى انهيـار الجيش وتفككه • وكانت لا تزال هناك ثلاث وحدات ايطالية تحارب الدول المتحالفة وهى :

وحدة باريرينجو فى جبهة انزيو ، ووحدة القمصان السوداء التى تحارب تيتو فى كروانيا ، ووحدة ماير سالبيرى التى تحارب السلافيين فى كارسو • وكانت هناك وحدة برسالبيرى غير السابقة تحـارب الالمان تابعة للمارشال بادوليو •

وكان موسوليني يبتسم فى فخر عندما يستمع الى شجاعة القوات التى تحارب الالمان • وكان يقول : « انها مهما كان الامر فهى من القوات الايطاليه وهذا ما يهمنى » ••

الفصل الحادي عشر

الرئيس في جرانانو

الشهور الأخيرة

ديسمبر ١٩٤٤ — ابريل ١٩٤٥

« انني أشبه بقائد السفينة التي تسير وسط العواصف وحين تتحطم السفينة أجد نفسي وسط محيط ثائر ، فأتعلق بقطعة من الخشب لا أعرف كيف أتحكم فيها أو أوجهها ؟ »

قام موسوليني في ديسمبر سنة ١٩٤٤ بزيارة ميلانو وبصحبته وولف رهن ، حيث استقبلا هناك من جماهير الشعب بالتهليل والهتاف الأمر الذى رفع معنويات موسوليني الى حد لم يكن أحد يتصوره • وكانت الجماهير تتدفق وتصيح « دوتشي ! دوتشي ! دوتشي ! » •

وحينما عاد موسوليني قال لزوجته : انه لم يشاهد مثل هذا الاستقبال الحافل طوال العشرين عاما السابقة التي حكمت فيها الفاشية ايطاليا • وقد تم اذاعة هذا الاستقبال على جميع أنحاء ايطاليا للدلالة على مدى استمرار شعبيته بالرغم مما حدث • وكان موسوليني قد تحدث في الاجتماع الذى عقد في المسرح الغنائي عن وعوده بالاصلاحات السياسية والصناعية ، وأعلن انه لم يعد من الضرورى أن يحمل العامل بطاقة الحزب الفاشي لأنه سوف يتم قريبا اقامة أحزاب سياسية أخرى والاعتراف بها • وعندما تحدث عن انتصار ألمانيا المحقق وأشار الى الأسلحة السرية التي سوف تستخدمها القوات الألمانية ويكون لها أثر خطير على اتجاه الحرب كان صوته يهتز بقوة وعنف كأنه قد عاد الى أيام عظمته الخوالى • .

وبعد هذه الزيارة مباشرة توجه الى زيارة الفوهرر ، وعندما وصل قطاره الى خارج ميونيخ توقف انتظارا للقطار الذى يقل هتلر والقادم من الشمال وتقابل الرجلان وتصافحا بحرارة وشوق وشعور بالسعادة ، ثم استقلا سيارة متجهين الى مخزن الأسلحة الجديدة السرية • وحينما عاد موسوليني الى جرانانو كان في غاية الحماس وهو يصيح قائلا : « لقد كسبنا الحرب » •

كانت هذه هي آخر كلمات مملوءة بالثقة ينطق بها موسوليني ، فلم يكد يمضي بعض الوقت حتى سقط في وهدة من اليأس والانهيار الجسماني

والأدبي . وكان يبدو أن جميع آماله قد ضاعت وأن جميـــــع أحلامه قد انهارت وتدهورت بالرغم من انه كان يعتقد أن الأسلحة السرية الألمـانية سوف تستطيع أن تقوده مع ألمانيا الى النصر وان الحلفاء قد كابدوا خسائر لا طاقة لهم بها . وقد التقت به احدى الصحفيات وتدعى «مادلين موليير» فوجدته انسانا لا يكاد يعرفه أحد بالرغم من الشـهرة التي أحاطت به فقد كان يحلق شعر رأسه لدرجة أنها كانت تبدو خالية تماما من الشعر، وكان بريق عينيه قد خبا ، وأصبح يركن الى التواضع والهدوء وقبـــول كل ما يصنعه له المستقبل لدرجة كانت تدعو الى الرثاء والى العطف عليه . وعندما قابلته هذه الصحفية الفرنسية ابتدرها قائـــــلا : « ماذا تريدين مني ؟ .. انني أتذكر أنك قد جئت الى روما منذ سبع سنوات ، وكنت في ذلك الوقت شخصا هاما ، ولكنني الآن لم أعد كذلك ، ولم أعد أخشى أي شيء بعد ذلك حتى الموت نفسه ، فقد تعذبت كثيرا . وأنا أعترف أنني قد ارتكبت أخطاء كثيرة لذلك سوف أدفع ثمنها اذا كانت حياتي البائسة تساوي هذا الثمن . لقد ارتكبت هذه الأخطاء وأنا أتبع المنطق والعقل ولكنني لم أكن أرتكبها قط حينما كنت أتبع الغريزة ..

نعم يا سيدتي لقد انتهيت وأفل نجمي بالرغـــــم من انني ما زلت اعمل ، ولكني في الواقع أنتظر النهاية الحتمية التي ســـــوف تكون قمة المأساة . انني لا أشعر بتحسن في حياتي بل أشعر بهبـــوط وانهيار ، وذلك بجانب عدم قدرتي على تناول ما أرغب فيه من أطعمة نتيجة الأمراض التي اخترقت جسدي .. ربما كان القدر قد أوجدني لهذا الشعب لكي أرشده الى طريق الحياة السليمة ولكني لا أعرف لنفسي طريقا الآن . ولكن هل سمعت من قبل أن هناك دكتاتورا يشعر بالثقة التي أولاه الشعب اياها ويحسب حسابها ويحاول الا يخل بها . »

وقد عبر رأيه في هذه اللحظة عن انه لا يرغب أن يفعل أي شيء في ذلك الوقت سوى قراءة أعمال الفلاسفة الكبار منتظرا نهايته .

وعندما وجهت اليه سؤالا عن شيانو قال لهـــا : « انني منذ يناير وهو الشهر الذي أعدم فيه شيانو وأنا أشعر انني أسير الى حتفي ، وأشعر ان الطريق الذي أسير فيه طريق طويل فظيـــع مدمر ، وأشعر أنني أشبه بقبطان السفينة التي وجدت نفسها وسط عواصــــف عارمة ثم تحطمت ووجدت نفسي وسط محيـــط هادر فتعلقت بقطعة من الخشب لا أعرف كيف أتحكم فيها أو أوجهها ؟ ولم يعد هناك أي انسان يستمع الى صوتي الآن . ولكن سوف يأتي اليوم الذي يستمع فيه العالم أجمع الى صوتي » .

كانت هذه هي الطريقة التي بدأ موسوليني يتحدث بها لكل انسان يزوره وكانت لهجته تأخذ طابـــع المأساة والغموض والخطابة في بعض الأحيان ، وكان يحاول ان يغير مجرى الحديث باستمرار من السياسة الى الفلسفة الدينية والى التاريخ والى الرسامين الايطاليين والى شـعر كل من دانتي ودانتزيو .

وقد زاره كاتب آخر يدعي « بياريجيدوري كورتي » فوجده راغبا عن التحدث في السياسة الحالية ويفضل التحدث عن مازيني وغاريبالدي

والفلسفة ، وكان يحاول دائما أن ينهى مناقشاته فى أى مؤتمر مع وزرائه أو مع الألمان بعبارات فلسفية أو تاريخية أو دينية ٠

وعندما بدأت قوات الحلفاء فى ٦ من أبريل بالقيـام بهجمات عنيفة

واحتلال منطقة ماسة ، وتراجعت الجيوش الألمانية عبر توسكانى ، صدم الكولونيل دلمان الذى كان مشغولا فى ذلك الوقت بمشكلات الانسـحاب والتسليم عندما قال له موسولينى فجأة : « هل تؤمن ياكولونيل بالله ؟ » ان الجنرال وولف يؤمن بالله ٠٠

الفصل الثانى عشر

استسلام الالمان

فبراير - أبريل سنة ١٩٤٥

« ان لى كل الحق على الأقـــل فى أن أعرف ما يدور هناك » .

قام الكولونيل دولمـــــان والجنرال وولف دون عـــــلم موسوليني بالتفاوض مع الحلفاء لتسليم الجيوش الألمانية في ايطاليا وكان الوسيط هو الكردينال « أدل فونسوشوستر » كبير أساقفة ميلانو ، وكان الهدف من ذلك هو منع التضحية - التى لا لزوم لها - بألوف الرجال ، كما أن المنظمات السرية قد قويت لدرجة تهدد القوات المرابطة فى ايطاليا ، وكانت قوات الحلفاء ترسل الاسلحة والعتاد الى هذه المنظمات السرية ، الأمر الذى أدى الى دفع الكولونيل دولمان الى التفاوض أيضا مع الجنرال « كادورنا » رئيس أركان حرب المنظمات العسكرية السرية . وقد اختار الكردينال شوستر قسيسا ذكيا مدربا يدعى « دون جوسبى بتشياريا » كمساعد عسكرى له .

وفى الوقت نفسه أعد الكولونيل دولمان ترتيباته الخاصة لمنـــح البارون لويجى باريللى تصريحا للخروج الى سويسرا بحجة العلاج حيث بقى فى زيورخ فى منزل أستاذ صديق له يدعى هوزمان مدير معهد زوجبرج

وفى أحد الايام زار أحد الاشخاص باريللى وقدمه باريللى الى البروفيسور هوزمان على أنه الكولونيل دولمان من رجال الجـــيش الألمانى وانه يجب أن يذهب الى السفارة الامريكية لاحضــــار مستر الن دالاس الى البيت .

ولم يكن دالاس يرغب فى الدخول فى مفاوضات فى هـــذه اللحظة بالذات لذلك أرسل مساعده الدكتور جيافرنتس بدلا منه وهو الذى اجتمع بدولمان فى « كافيه بيانكى » حيث تحدثا عن قائمة مجرمى الحرب ، وأكد له المندوب الامريكى بأن اسمه فى هذه القائمة وأنه لكى يحذف اسمه من هذه القائمة يجب أن يعمل ما فى وسعه لانهاء الحرب فى ايطاليا ، وكان جيافرنتس يشك فى أن دولمان ليست عنده النية على القيام بهذا العمـــل كما أنه ليس له نفوذ أو قدرة على اعـــداد ترتيبات التسليم لذلك طلب جيافرنتس من دولمان اثباتا لقوته ونفوذه أن يحضر الى الحدود السويسرية أحد القادة المعادين للفاشية الموضوعين فى السجون الآن وطلب دولمان من جيافرنتس أن يحدد له اسما ، فاستمهله جيافرنتس الى أن يستشـــير دالاس ، وقد حدد دالاس فيما بعـد اسم « فريتشيو بارى » وكان يعرف

مقدما أن احضار هذا الشخص الهام من أيدى الفاشيين ضرب من ضروب المستحيل ولم يكد يمضى أسبوع واحد على هذا الحديث حتى كان بارى وزوجته وأوسميانى وهو أحد القادة المعادين للفاشية داخل سويسرا نفسها وذلك بالرغم من أنهم قد حكم عليهم بالاعدام فى فبرونا ٠

وفى ٨ من مارس حضر الجنرال وولف الى سويسرا وتقابل مع الن دالاس ٠٠ وتباحثا معا حول انهاء الحرب فى ايطاليا ولكن دالاس لم يعده بشىء وعند عودته الى ايطاليا عرف ان القيادة الألمانية قد نقلت الفيلد مارشال كيسلزنج من قيادة الجيوش الألمانية فى ايطاليا الى الشمال ووضعت محله راندستادت ، ولم يكن وولف يعرف الى أى مدى يستطيع أن يثق فى خلف المارشال كيسلزنج ؟

وفى ١٩ مارس قابل دولمان الميجور جنرال ايرى القائد البريطانى والجنرال اليسنتزر الامريكي فى اسكونا التى على بحيرة ماجيورى بين الحدود السويسرية الايطالية وبحث معهم شروط التسليم ولكن عند عودة دولمان وجد انه قد صدرت تعليمات من ألمانيا من هملر نفسه تقول : ان عائلة الجنرال وولف وزوجته دولمان قد وضعا تحت الرقابة الشخصية للجستابو فى ألمانيا ، وصدر الأمر أيضا بمنع الجنرال وولف من مغادرة ايطاليا ٠

وكان هملر يتصل بالجنرال وولف لاخباره باستمرار عن عائلته ولمعرفة مكان وجوده باستمرار ، لذلك أخطر الجنرال وولف الجنرال باريللى انه سوف يقطع المباحثات ، ولكن باريللى شجعه على عدم قطع هذه المباحثات على أساس أنه قد قطع شوطا كبيرا فى المخاطرة ، واقتنع بذلك واستمر فى اتصاله بالحلفاء عن طريق جهاز راديو فى حجرة نومه ٠

وفى آخر يوم مارس حصل على موافقة بالتسليم من قيادة الجيش فى ايطاليا ولكن فى ١٣ من أبريل استدعى فوراً الى برلين فودع أصدقاءه وكتب وصيته ورحل ٠

ولكن قبل أن يمر أسبوع واحد عاد مرة أخرى الى ايطاليا فقد أصدر هملر أوامره بأن يعود الى ايطاليا ليكتب تقريرا شخصيا عن الأوضاع هناك ويقدمه الى هتلر بنفسه ، وفى الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم ١٨ من أبريل كان هتلر يستمع بنفسه الى هذا التقرير وهو شارد الفكر ولم يعلق عليه بشىء ، وبعد أن استمع اليه لم يتحدث عن ايطاليا وانما تحدث عن امكانية فصل روسيا عن البريطانيين والامريكيين٠ وفهم وولف من هذا الاتجاه أن هتلر يود الابقاء على القوات الألمانية فى ايطاليا حتى يمكنها أن تعبر الألب وتتجه لمحاربة الروس فى حال تأزم الموقف ، وعندما ترك هتلر مجلس الاستشارية الذى كان يستمع فيه الى هذا التقرير لم يكن أمامه سوى أمل واحد وهو أن يتصارع أعداؤه بعضهم مع بعض وهو أمر لن يحدث وكان قد نزع كل شىء عن ايطاليا من فكره ٠

وفى خلال أسبوع من عودة وولف الى ايطاليا تقابل مع ممثلى الحلفاء على الحدود السويسرية واتفق معهم على التفاصيل النهائية لتسليم القوات

الألمانية في ايطاليا بدون قيد أو شرط والاجراء الذى سوف يتخذه ضد أى قائد ألمانى يقف حائلا ضد تحقيق هذا الاتفاق .

وبعد ذلك اتجه وولف مع دولمـــان الى قصر الكردينال شوستر فى ميلانو لمقابلة ممثلى المنظمــات السرية الايطالية وعرضـــا عليهم مشروع الاتفاق مع الحلفاء فقبلوه على الفور ، وأخبر الألمان أن لجنــــة التحرر القومى لشمالى ايطاليا قد أصدرت أوامرها فى ٢٥ من أبريل للعمل ضد حكومة موسولينى والوقوف مرة واحدة ضد هـذه الحكومة وضد نشاط المحور .

وقبل أن تتخذ لجنة التحرر القومى أول خطوة لهـــا ضد حكومة موسولينى أصـــدر الجنرال وولف أوامره الى رئيس قسم الجستابو فى ميلانو الكولونيل رودوف لمنع القوات الالمانية من التدخل فى الشـئون التى تخص الايطاليين فقط .

ولم يكن موسولينى يعرف ما يجرى فى الخفاء وكان كل ما وصله هو بعض الاشاعات التى تقول ان هناك محاولة للاتفاق مع الحلفاء . وقد انزعج موسولينى لهذه الأخبار وطلب من وولف ورهن معرفة ما يقوم به كل منهما من نشاط قائلا : « ان لى كل الحق على الاقل فى أن أعرف ما يدور هناك » .

وفى ١٣ من مارس قـــرر موسولينى أن يســـتدعى ابنه فيتوريو والكردينال شوستر لوضع الترتيبات اللازمة لحماية السكان المدنيين فى حال انسحاب القوات الألمانية تماما من ايطاليا وتقدم القــوات الفاشية الى المواقع الدفاعية فى منطقة الألب ولكن الكردينال أخبره بأنه قد تم اتفاق مع الحلفاء على تسليم القوات الألمانية فى ايطاليا بدون قيد أو شرط قائلا: ان الأمر يجب أن يعود الى السلطات الألمانية العليا أولا وقبل كل شىء .

وفى ٦ من أبريل تلقى تقريرا بأنه قـــد صدرت الأوامر الى بعض القوات الألمانية بمغادرة البلاد متجهة الى ألمانيــا . وصاح موسولينى بأنه يجب عدم الاستماع الى الشائعات لأنها دعاية مدسوسة من جانب الحلفاء !

الفصل الثالث عشر

التحرك إلى ميلانو

١٩ ـ ٢٥ من ابريل سنة ١٩٤٥

« لقد قامرت حتى النهاية ولكنى غلبت على أمرى » .

استقبل موسولينى وزير داخليته فى ١٣ من ابريل وساله عن رأيه فى سير الحرب فى ذلك الوقت ، فرد عليه الوزير بأن دول المحــور قد خسرت الحرب ، ولكن موسولينى احتج على هذا القــول بأن فى ألمانيا توجد مقاومة عنيفة . ورد عليه الوزير قائــلا : ان العبرة بالنتائــج النهائية . فسكت موسولينى ثم أردف بعد ذلك قائلا : « انك على حق فلم يعد هناك مايمكن عمله » .

وفى ١٤ من ابريل حضر بافيلونى اجتماعا عقده الدوتشى فى فيللا « دل اورسلونى » لتقديم الخطط التى وضعها بشأن مواجهة الوضع عند احتمال تسليم الألمان نهائيا ولم يحضر هذا الاجتماع أى ممثل عن القوات الألمــانية ســـوى الجنرال وولف الذى لم يعترض على أى مشروع من مشروعات بافيلونى .

ولم يتحدث موسولينى الا قليلا ، وكان يبدو عليه أنه مســتعد كل الاستعداد لقبـــول قرارات بافيلونى دون أية مناقشة ، ولم يعترض على الخطط التى وضعها بافيلونى سوى جرازيانى الذى انتقـد الاستعدادات والترتيبات الخاصة بهذه الخطط ، ولكن موسولينى نهره قائــلا : « ان هذه القرارات ليست ملزمة لأى فرد ، فكل منكم يستطيـــع أن يسير فى اتجاهه الخاص » .

وفى ١٦ من ابريل اجتمع وزراء الجمهورية لآخر مرة حيث أخبرهم موسولينى أنه قرر التحرك الى ميلانو لأنهــا الوحيدة التى يمكن اعتبارها عاصمة للجمهورية الايطالية بعد أن ضاعت روما .

وفى الساعات الأولى من مساء يوم ١٩ من ابريل استعد موسولينى لمغادرة جرنانو متجها الى ميلانو ضاربا عرض الحائط بالنصائح التى قدمها اليه كل من رهن ، وولف واصطحب معه قوات ألمانية برياســـة الكابتن اوتوكيسنات والملازم فرتيس برزر لحراسته .

وفى ميلانو أقام موسولينى مكتبه فى حجرة بالدور الأول فى قصر

منفورتي حيث استقبل فيه طابورا لا نهاية له من الزوار مما أثار حماسه من جديد ، وجعله يبدو أكثر نشاطا وأملا .

وفي ٢٠ من ابريل كانت تبـــدو من عينيه نظرة الثقة والاطمئنان والهدوء وكان يتحدث عن استمرار المقـاومة في فالتيلينا حيث كان يعبر عن آماله في امكانية اقامة حكومة مستقرة والاستعداد للاتفاق على صلـح أو سلام مشرف ، كما بحث أيضـــا امكانية اقامة جبهة معادية للملكية بالاتحاد مع الاشتراكيين .

وفي ٢١ من ابريل استقبل موسوليني السفير الألماني رهن وتحدث اليه كثيرا عن التطورات الأخيرة ولكن رهن رأى في نظراته شـــبح الموت والرعب من التطورات التي بدأت تنكشف أمام عينيه ، فقد وصل الى علمه في يوم ٢٠ من ابريل أن بولونا قد احتلت ، ووصل أيضـا الى علمه يوم ٢٢ من ابريل أن مناطق الو ، ومودينا ، ورجيو قد سقطت ، وفي اليـوم التالي علم أن بارماكريمونا ومنتوا قد سقطت تماما وان قوات المنظمـــات السرية قد احتلت جنوا ، واحتلت قوات تيتو منطقة فيوم .

واصبحت بذلك قوات الأعداء تبعد عن منـــاطق الدفاع بمسافة لا تزيد على ٦٠ ميلا الأمر الذي دفع موسوليني الى فقد الأمل في استمرار المقاومة حول منطقة الالب لفترة معقولة . وحينما نصـح بافاريني جويتي ان يقوم الدوتشي بالهرب الى سويسرا أو أسبانيا رفض بشدة كما رفض من قبل اقتراحا أرسلته اليه احدى صديقاته السابقات وتدعى فرنشيسكا لافانيني التي كانت تقيم في ذلك الوقت في الأرجنتين كما اقترحت عليه صديقته كلاريتا بيتاشي أن يعلن : « ان موسوليني قـــد لقي مصرعه أثر حادث اصطدام سيارته » ولكنه رفض هذه الاقتراحات جميعها فقد قرر أن يموت في فالتيلينا لأنه كان يعتقـــد أنه قد انتهى ولكن الفاشية لم تنته ولن تنتهي .

وكان موسوليني قد صمم أن يحـــافظ على عائلته وأن يبعدها عن منطقة الخطر ، لذلك اتصل بزوجته راشـيل في ٢٣ من ابريل وأخطرها انه سوف يطير اليها في جرنانو للاشراف على عملية نقلها الى سويسرا ، واتصل أيضا بكلاريتا ليحرضها على الهروب ولكنها رفضت بحجة ارتباط مصيرها بمصيره .

وفي مساء يوم ٢٥ من ابريل استدعى موسوليني الجنرال مونتانا رئيس بوليس ميلانو وجرازياني لمقابلته في مكتبه لبحث خطة تراجع جميع قوات الجمهورية الى شمال ميـــلانو وأخبرهم موسوليني في هذا الاجتماع انه سوف يطلب من الكردينال شوستر اعداد اجتماع له مع قادة لجنة التحرر القومي لبحث شروط التسليم ، وأعلن انه سوف يوقف أية تضحية بعد ذلك في صفوف الجيش . وكانت المحادثات التي تمت بين موسوليني وشوستر في غاية الصعوبة نظرا لتصميم موسوليني على رأيه ولكن الكردينال طلب من موسوليني أن يقي ايطاليـــا شر الخراب الذي لا فائدة من ورائه ، وأن يقبـــل تسليما مشرفا ، وكانت أمام موسوليني مشكلتان هامتان هما كيفية تسريح الجيش الايطـــالي النظامي ، وجيش

المالیشیا الجمهوری ، ثم عـودته الى فالتیلینا بثلاثة آلاف جندی من ذوی القمصان السوداء لمواصلة الحرب فی الجبال ، ولكن الكردينال شوستر رد عليه بأنه يجب ألا يعيش فی أوهامه لأنه قد خسر الحرب نهائيا ولأن ذوی القمصان السوداء لن يتبعوه بهذا العـدد الضخم • وكان شوستر يعتقد فی قرارة نفسه أن موسولينی لن يتورع عن الذهاب الى جحـور الجبال لقيادة حرب عصابات ، لأنه كان صلبا فی رأيه وتصميمه •

وبعد أن انتهى الاجتماع قام الكردينال شوستر بالاتصـال بلجنة التحرر القومی للاعداد لهذه المقابلة ، وفی الساعة السادسة مساء من هذا اليوم نفسه اجتمع موسولينی والمارشـال جرازيانی بمندوبين عن لجنة التحرر القـومی كان من بينهم آشيلی مرازا وهو محـام من الحزب الديموقراطی المسيحی وريكاردو ليومباردی وهو مهندس وعضو فی حزب العمل ، ودون جوسبی بتشيريا ، والكاردينال شوستر نفسه ، وأجريت المناقشات فی جو من الحماس يوحی فی بدايته بالنجاح التـام ووافق أعضاء لجنة التحرير علی أن القوات الفاشية التی سوف تعتقل وتوضع فی السجون سوف تعامل كأسری حرب علی حسب القواعد المنصوص عليها فی اتفاقية لاهای ، وان عائلات الفاشيين لن تذهب ضحية لميول عائليها وان الدبلوماسيين الذين فی ايطاليا سـوف يتمتعون بجميـع الحصانات والامتيازات التی خولهم اياها القانون الدولی •

وكان موسولينی يستمع الی هـذه الشروط فی صمت ويبدو أنه موافق عليها ، ولكن عندما تحدث أعضاء اللجنة عن مجرمی الحرب وخاصة المارشال جرازيانی قفز هـذا علی قدميه وصاح : « لا •• لا ياسـيدی الدوتشی •• اننا لسنا مضطرين لأن نخون حليفنا ، اننا لن نهجر الألمان ونتفاوض من أجل مثل هذا العمل ، ولا نستطيع أن نوقـع مثـل هذا الاتفاق دون وجود الألمان اننا لا نستطيـع أن ننسى القوانين والواجب والشرف » • فصاح موسولينی بغضب قائلا : « هذا مستحيل » ثم طلب أن يرى صورة من المعاهدة المقترحة ولكن بتشاريا واجه موسولينی بحقيقة تفاوضه مع الجنرال وولف عن طريق السفير الألمانی والكولونيل رودف • فثارت ثائرة موسولينی واتهم الالمان بالخيـانة من وراء ظهره وأعلن أنه سوف يتخذ الاجراءات اللازمة لحماية ظهره دون التقيد بالتزاماته مـع الألمان •

وحاول الكردينال شوستر والمارشال جرازيانی أن يهدئا من ثورته ولكنه لم يكن فی حال تسمح له بالاستمرار فی المفاوضات ، وأعلن أنه لن يتفق علی شیء قبل أن يتحدث الی القنصل الألمانی ، وطلب مهلة ساعة حتى يوافق علی شروط طلب التسليم ، وخرج موسـولينی من حجرة الاجتماع مهددا بأن يعلن خيانة الألمان فی الراديو •

وبعد مرور نصف ساعة علی مغادرته حجرة الاجتـماع اسـتقبل القنصل الألمانی فی مكتبه وهو فی ثورة من الغضب وأخبره بخيانة الألمان لايطاليا ، وبعد هذه المقـابلة أخذ موسولينی يفحص خريطة ايطاليا التی فی مكتبه بدقة وقرر أن يترك ميلانو علی الفور متجها الی كومو وهی ليست طريقا مباشرا يؤدی الی فالتيلينا ، وانما اختارها لأن التقارير وردت اليه

يتقدم الجنود الامريكيين فى منطقة برجانو وان قوات لجنة التحرر القومى قد قطعت الطريق الى ليكو . ولم يكن هنـاك أى انسان يعرف ماذا ينوى موسولينى أن يفعله حينما يصل الى كومو ، فكان البعض يعتقد أنه سوف يتجه الى شياسو ومنها يهرب الى سـويسرا وكان البعض الآخر يعتقد أنه شعر بالتحرر من القيود الألمانية وانه سوف ينفذ كل ما يطرأ بذهنه بكل شرف . وخرج موسولينى من مكتبه الى الممر الخـارجى حيث التقى به شينجو أحد كبار الفاشيين فى ميلانو ، أخبره بأن يعود الى القصر مرة أخرى نظرا لوجود أعداء له بالخارج يترقبون خروجه لاغتياله ونصحه كل من بافارينى جويدى وريناتو رتيشى وابنه فيتوريو بالطيران الى أسـبانيا فرفض كل هذه الاقتراحات وصاح قائلا : « هـل تريدون اعادة يوم ٢٥ من يوليو مرة أخرى ؟ » ولكنهم فى هذه المرة لن ينجحوا .

وكان موسولينى يرتدى الزى الرسمى لقوات الماليشيا الفاشـية ويضع على كتفه مدفعا رشاشا ويحمل معه حقيبتين صغيرتين تضـمان أوراقه السرية ، أعطاهما مع بعض النقود كرادورى وهـو أحد الفاشيين المخلصين واتجه الى كل من سلفستري وبرسانى وعانقهمـا فى صمت وأعلن بصـوت أجش انه يتجه الى فالتيلينا ثم خطا الى عربته التى أقلته وابتعدت .

وكانت هناك قوة من جنود القمصان السـوداء تسير محاذية ركبه لشق الطريق أمامه وابعاد التكتلات عنه ، وكان يجلس مع موسولينى فى العربة أحد الحرس ومعه مدفـع رشاش ، وكان يتبعه ما يقرب من ثلاثين سيارة ولوريا محملة ممتلكاته الخاصة الثمينة وبعـدد من الأفراد منهم كلاريتا بيتاتشى وأخوها مرسيللو وزوجته وطفلاه .

وسار خلف هذا الركب أيضا بعض اللوريات المحملة بالجنود الألمان بقيادة الملازم برزر لحراسة الدوتشى وذلك بالرغم من احتجاجاته ، وكان ابنه فيتوريو هو آخر شخص فى هذا الركب .

وقد قرر عـدد من وزراء الحكومة الجمهـورية الفاشية البقاء فى ميلانو ، ولكن بعضهم قرر مرة أخرى اللحاق بموسولينى ، وكان البعض يتساءل : « الى أين هم ذاهبون ؟ .. فكان ميزاسوما يجيبهم على ذلك : « الله وحده هو الذى يعرف .. ربما نتجه نحن الى حتفنا » .

الفصل الرابع عشر

الهروب من ميلانو

٢٥ - ٢٧ من أبريل ١٩٤٥

« سوف أذهب الى الجبال بالرغم من أنه من الممكن اكتشاف مكان وجودنا اذا تتبعنا أحد الأشخاص »

- ١ -

وصل موسولينى الى كومو فى حوالى الساعة العاشرة .

وأسرع متجها الى مكتب الحزب الفاشيستى الجمهورى وظل فى انتظار بافيلونى الذى كان قد وعده باحضار ثلاثة آلاف شخص من الفاشيين لتأييده فى موقفه وحربه فى الجبال ، ولكن الاخبار فى كومو لم تكن مشجعة ، اذ أن التليفون كان يدق كل آونة ليعلن وقوع مصيبة جديدة ، فقد سقطت جميع أحياء ميلانو فى أيدى العمال المسلحين ، وما زالت القوات الامريكية تتقدم بخطا ملموسة ، وكانت القوات الالمانية قد تقهقرت تماما ، وقد منعت القوات الجمهورية من دخول ميلانو بعد أن قامت قوات لجنة التحرر القومى بسد طريقى مليننانو وترفيلجيو ، واتصل ميزاسوما بمكاتب جريدة « كوربرى » ديللاسيرا » حيث علم أن قوات اللجان السرية قد احتلت مكاتب هذه الجريدة ولم تكن هناك أية أخبار عن بافيلونى .

وفى الساعة العاشرة والنصف قدمت زوجة رئيس المكتب الفاشيستى العشاء لموسولينى ، ولكنه كان منصرفا عنه ، ولا يستمع الى وزرائه وهم يتحدثون ، وكان الخوف والرعب قد تملكا منه ، وفى الوقت الذى كان يستمع فيه الى الآراء المتضاربة من وزرائه فبعضهم كان ينصحه بالهروب الى سويسرا ، وبعض ثان ينصحه بالتحرك الى كادينابيا وعدم التعلق بوعود بافيلونى ، على حين أن بعضا ثالثا ينصحونه بالتوجه الى سوندريو .ولكنه كان يقول : « سوف اذهب الى الجبال بالرغم من انه من الممكن اكتشاف مكان وجودنا اذا تتبعنا أحد الاشخاص .

وظهر الاستياء على موسولينى بعد ذلك حينما علم باختفاء اللورى الذى كان محملا بالوثائق الرسمية والملفات السرية ، لذلك أرسل كل من جاتى والكولونيل كازاليينويفو للبحث عن هذه السيارة وايجادها بأى ثمن ، ولكن هذين الشخصين عادا الى كومو ليخطراه بان هذه السيارة

قد استولى عليها وهي في طريقها الى شمال ميلانو رجال عصابات اللجان السرية ، وعندما علم موسوليني بهـذا الخبر ازداد يأسه وحزنه لفداحة المصاب اذ أن هـذا اللورى كان محملا أيضاً بكنزدونجو وسبائك الذهب وبعض القطع الفنية والاموال التي تمتلكها الحكومة الجمهورية الفاشية والتي تصل الى عدة آلاف من الملايين من الليرات « ذكر وزير خزانة الجمهورية الفاشية فيما بعد أن المبلغ الذي كان في خزينة موسوليني ابتداء من فبراير من هذا العام نفسه كان يبلغ ٢٦٧٥ جنيها استرلينيا و ٢١٥٠ سوفرنا انجليزيا و ١٤٩٠٠٠ دولار امريكي و ٢٧٨٠٠٠ فرنك سويسرى و ١٨،٠٠٠،٠٠٠ فرنك فرنسى و ١٣،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ليرة ايطالية » .

- ٢ -

بعد أن انتظر موسوليني وقتاطويلا لعودة بافيلوني قرر أن يتحرك الى الشمال بجوار ساحل البحيرة في اتجاه مناجيو ، وكان الملازم برزر قد تلقى تعليمات بعدم ترك الدوتشي يسـير بمفرده ، لذلك حينما علم بخروج الدوتشي متجها الى الشمال قاد عربته بسرعة ووراءه بعض الجنود واعترض طريق موسوليني وذهب اليه وهو يحييه التحية العسكرية ويقول له : « سيدى الدوتشي .. يجب ألا تخرج أو تغادر المكان دون أن تكون معك حراسة خاصة . » فنهره موسوليني وقال له : « اتركني بمفردى انني أعرف ماذا أريد ، فدعني أسلك طريقي بمفردى وابتعد عن طريقي ولكن الملازم صمم على ضرورة مرافقة قوة للدوتشي ، وفي هذه اللحظة تقدمت قوة من الايطاليين ووقفت بين الدوتشي والملازم الالماني العنيد ، وفي الحال ظهرت مجموعة من رجال الملازم برزر الألماني ويدها على مدافعها واكرهت الايطاليين على الانسحاب ، وبذلك اضطر موسوليني أن يقبل الحراسة المفروضةعليه ، ووصل الى مناجيو وسط الاوحال والامطار حيث كانت تتبعه مجموعات من الجنود الجمهوريين المسلحين بالمدافع الميكانيكية عيار ٢٠ من المليمترات ، وقافلة أخرى من الجنود الالمان وكانت كلاريتا بيتاتشي في احدى العربات التي تتبعه ، وطلبت من الكولونيـال كازا لينوبفو أن يأخذها الى موسوليني في فيللا كاستللي .

وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٢٧ من أبريل وصل بافيلوني في سيارة مصفحة قادما من كومو ، وكانت السماء لا تزال تمطر حينمـا وصل الى فندق البناكوتشياني ، وأخبر موسـوليني بأن ذوى القمصان السوداء في كومو قد وقعوا اتفاقية تسليم مع قوات المنظمات السرية » ولكنه استطاع ان يجيء ، عددا قليلا من هؤلاء الاشخاص وعندما سأله موسوليني عن عدد هؤلاء الاشخاص تردد كثيراً وقال : انهم اثنـا عشر شخصا ؛ وكان ذلك نهاية الامل .

وبعد ذلك مباشرة سمح موسوليني للملازم برزر بأن يقوم باعداد الترتيبات اللازمة لكي ينضم هو ورفاقه الى القافلة الألمانية التي تقهقر الى الشمال متجهة الى انزبروج بقيادة الملازم فولبر . وكان موسوليني يقود

بنفسه عربته الفاروميو يتبعه برزر وبافيلوني . وكان يهدد كل ما يقف في طريقه ويزيح جميع المتاريس من الشوارع بالعربات المصفحة .

واستمرت القافلة في طريقها الى الشمال دون أن يعترضها أي عائق لمسافة عدة أميال ، واستطاع موسوليني في هذه المسافة أن يستعيد ثقته في نفسه لذلك قال : « اننا نستطيع أن نصعد الى أعلى قمة في العـــالم ومعي هاتان المائتان من الجنود الالمان » وحينما شاهد أحد الرجال في الطريق ناداه وسأله : هل هنـــاك بعض قوات من المنظمات السرية في تلك المنطقة فأجابه الرجل بأن هذه القوات منتشرة في كل مكان .

وتحركت القافلة مرة أخرى بضع مئات من اليـــاردات ثم توقف موسوليني وخرج من عربته متجها الى الخلف ناحية بافيلوني الذي اقترح عليه أن يستقل العربة المصفحة ، فوافق موسوليني بعد أن تشاور في الامر مع الملازم برزر ، وشقت القافلة طريقها مرة أخرى ، وكان الهدوء يسود الطريق والكل يجلس في صمت ، وفجأة أطلقت ثلاث قذائف في الساعة السابعة من صباح اليوم التـالي على مسافة ستة أميال شـــمال مناجيو ، ثم وضعت عدة أشـجار في طريق القافلة ، وكانت البحيرة على يمين القافلة على حين كانت هناك غابة كثيفة على يسارها بالاضافة الى حائط من الصخور العالية تعرف باسم روكاد وموسو ، ثم فتحت النيران مرة أخرى من جانب الجبال على القافلة وكانت هذه المرة من مدافع عيار ١٢ من المليمترات ، وقامت العربة المصفحة باطلاق النـــيران على قوات المنظمات السرية فقتلت واحدا منهم ، وبعد لحظة ظهر علم أبيض وتحرك بعنف على قمة احدى الاشجار الملقاة على الطريق ، وتقدم ثلاثة أشخاص أثنان منهم من بين أعضاء المنظمة السرية والثالث الماني سويسري يدعى لويجي هوفمان الذي كان يعيش على ساحل البحيرة في فيللا تمتلكهـــا زوجته التي تنتمي الى عائلة غنية من كومو وتقدم فولمر وبرزر الى هؤلاء الأشخاص للتحدث معهم واتخذوا هوفمـــان مترجما لهم فتحدث دافيد برباييري وهـــو كابتن في فرقة غاريبالدي الثانية والخمسين وقال : انه منعا لسفك الدماء سوف يسمح للجنود الألمان بالعبور ، ولكنه لن يستطيع السماح للفاشيين بالمرور من هذا الطريق على حسب الأوامر الصادرة اليه، فاحتج فولمر وطلب مقابلة رئيس اللجنة المحلي فرد عليـــه برباييري بأن الرئيس المحلي لا يستطيع أن يمنحه مثل هذا التصريح وأنه يستطيع أن يحصل على مثل هذا التصريح من القيادة العامة في موربينو .

وكان هذا الكابتن يستغل مرور الوقت لمصلحته بعـــد أن تيقن أن رجاله لن يستطيعوا الصمود أمام القوات الالمانية المسلحة تسليحا جيدا على أمل أن تأتي وحدات أخرى من المنظمات السرية لمساعدتهـــم . ومن ناحية أخرى لم يكن الالمان يرغبون في حرب ، بل كانوا يرغبـــون رغبة قوية في العودة الى وطنهم لأن الحرب قد انتهت بالنسبة لهم في ايطاليا .

وعندما تقدم أحد القساوسة لسـؤال القائد الالماني عن الايطاليين الذين معهم ، أجاب بأنه لا يوجد معهم أي ايطالي ، ولكن أحد الاشخاص همس في أذنه بأن هناك ايطاليين ، لذلك يجب تفتيش اللوريات وبعـــد

هذا توجه القسيس الى الجبال متجها الى مركز القيادة المحلى للمنظمة وأخبرهم بما حدث ، ولكنهم أخبروه بأنهم لا يستطيعون التصرف فى شىء الى أن تصلهم تعليمات أخرى من موربينو .

وفى الساعة الثانية غادر فولمير متجها الى موربينو حيث استمر الى الساعة الثانية ثم عاد مرة أخرى الى مومسو ، وكانت القوات الايطالية المشتركة فى هذه القافلة قد بدأت تتذمر وتزداد تحفزا ، على حين اقترح بافيلونى أن تقوم القوات بشق طريقها بقوة السلاح ، واقترح آخرون العودة والبحث عن طريق آخر ، ثم تقرر بعد ذلك أن تنتظر القوات عودة فولمير . وقد حاول بربابيرى أن يكتشف احتمال أن موسولينى فى القافلة ولكن رومانو أخبره بأنه كان معهم ميناجيو ثم اختفى بعد ذلك .

وكان موسولينى فى هذا الوقت يجلس فى العربة المصفحة يقرأ بعض الوثائق ويستمع الى بعض اذاعات من جهاز لاسلكى صغير داخل العربة وكان يتحدث فى الوقت نفسه مع كلاريتا بصوت منخفض وفى تلك اللحظة وصل فولمير الى العربة المصفحة وأخبره بأنه لم يستطع أن يتفق على مرور الايطاليين وكل ما استطاع أن يحصل عليه هو السماح بمرور جميع اللوريات الألمانية بشرط تفتيشها فى دونجو وبحثا عن الفاشيين المختبئين .

وفى هذه اللحظة اقترح برزر على موسولينى أن يرتدى معطفا ألمانيا ويستقل احدى سيارات النقل الخلفية ، ولكن الدوتشى رفض أن يتحرك بالرغم من محاولة كلاريتا الضغط عليه لانقاذ حياته ، فقد كان يعتقد أن برزر قد اتفق مع قوات العصابات على تسليمه اليهم مقابل مرورهم الى ألمانيا واخيرا رضخ الدوتشى بعد ان أقنعه فولمير وذكره انه يحميه .

ثم ذهب برزر لعزل الالمان عن الايطاليين ، وعندما عاد وجد موسولينى ما زال فى مكانه فى العربة المصفحة وكلاريتا بيتاتشى تبكى بمرارة ، ووجه كلامه الى فولمير قائلا انه ما لم تفرض الحماية على وزرائه فانه يرفض أن يتحرك ، فرد عليه قائلا : ان ذلك ضرب من ضروب المستحيل لانه قد وقع اتفاقية بالشروط التى تنص على وجوب ترك الايطاليين داخل الحدود الايطالية ، وتسمر موسولينى فى مكانه ولم يتحرك قيد أنملة ، ولكن عندما ذهب برزر لاحضار اللورى الذى سوف يركب فيه موسولينى التف حوله كل اتباعه للضغط عليه لقبول هذا العرض لان هذه كانت فرصته الوحيدة للنجاة ، فاضطر الى الخضوع لهذه الآراء وارتدى ملابس جندى ألمانى ومعطفه ثم صعد الى اللورى الذى اتجه الى دونجو مع بقية القافلة الألمانية .

وبهذا الشكل ذهب موسولينى بمفرده مع القوات الالمانية ، وكانت قوات المنظمات السرية قد علمت بوجوده فى هذه القافلة عن طريق أحد راكبى الدراجات ، وعن طريق الدون مينيتى ، لذلك انتظرته فى ميدان دونجو .

الفصل الخامس عشر

الاعتقال

٢٧ من أبريل ١٩٤٥

« لم أعد أرغب قط في رؤية أي زي رسمي ألماني »

- ١ -

كانت الساعة قد بلغت الثالثة حينما كانت القافلة تشق طريقها داخل دونجو ، وكان الايطالي الوحيد الذي يرافق هـــذه القافلة هو «مارسيللوبيتاتشي» لأنه كان يجلس في عربة عليها رقم دبلوماسي وترفع العلم الأسباني على جانبيها وفي الوقت نفسه الذي ابتعدت فيه القوات الالمانية عن الوزراء والرسميين الايطاليين الفاشيين ، قامت قوات العصابات بالالتفاف حولهم واعتقالهم ، ولم يقاوم هذه الحملة ســوى الذين كانوا يجلسون في العربة المصفحة ، واستمرت الحرب قائمة بين العربة المصفحة ورجال العصابات فترة غير قصيرة الى أن اضطر من بداخل هـذه العربة أن يرفع علما أبيض ، وفي هذه اللحظة قفز بافيلوني من العربة المصفحة وأخذ يعدو تجاه البحيرة وهو ينادي الآخرين بأن يتبعوه ، وألقى بنفسه هو وكارادولي واختفيا في الماء لفترة ساعة تحت بضعة ألواح من الخشب ، ولكن أمكن اكتشافهما بعد هذه الساعة وتم سحبهما من الماء ونقلهما الى دونجو التي كان موسوليني قد وصل اليها من قبل ٠

وأخذت قوات العصابات في تفتيش السيارات واحدة بعد أخرى الى ان وصلت الى السيارة التي يجلس فيها موسوليني ، فوجدت السائق وبجواره جاويش ألماني يضع خوذة على رأسه ويصدر شخيرا عاليا وتفوح من فمه رائحة الخمر ، فأخذ ضابط من هذه القوات السرية يهـزه بعنف وطلب منه أن ينزل من العربة ثم أزاح الخوذة من فوق رأسه ودقق فيه النظر وقال له : « ألست ايطاليا ؟ » فأجابه موسوليني بعظمة وفخر بأنه ايطالي ، فعرفه لازارو على الفور ؛ وهو أحد زعماء المنظمة السرية وتحدث موسوليني الى الجنود الالمان فطلب منهم المخاطرة بأرواحهم في محـــاولة فاشلة ولم يحاول موسوليني أن يستخدم المدفع الرشاش الذي كان يحمله وانما قفز من العربة بمساعدة لازارو وسلم سلاحه اليه ، وكان الشعب قد تجمع في هذا الميدان وبدأ يصيح عندما عرف شخصية الدوتشي ، ثم قام أحد جنود اللجنة السرية بتفتيش موسوليني فوجد معه مسدسا معبأ ، ولم يحتج موسوليني على هذا الاجراء ؛ ولكن عندما حاول أحـــد

الجنود أن ينزع منه الحقيبتين اللتين تمتلئان بالاوراق والوثائق السرية الخطيرة صاح فيه موسولينى قائلا « حذار ٠٠ انهما تمتلئان ٠٠٠ بالوثائق السرية ذات الاهمية الكبرى بالنسبة لتاريخ ايطاليا ومستقبلها ، لذلك تجب المحافظة عليهما » ٠

ثم بدأ موسولينى يتحرك الى غرفة عمـدة المدينة وهو يتعثر فى مشيته ، وكانت المدينة على منحدرات سـفح جبل برجنانو ، وكانت الرجفة قد بدأت تسرى فى جسد موسولينى فاضطر لازارو الى أن يطمئنه قائلا : « اهدأ نفسا فلن تمس بسوء » ٠ وفى الوقت نفسه وجه اليـه العمدة الدكتور جوسبى روبينى الكلام قائلا : « لاتقلق بالا فسوف تكون فى مأمن هنا » ٠ فرد عليه موسولينى بطريقة آلية قائـلا : « اننى أعرف ذلك لان سكان هذه البحيرة طيبو القلب ٠ »

ثم سمح لموسولينى بالجلوس وأحاط به عـدد من جنود اللجنة السرية وبعض الشعب وبدءوا يمطرونه بالاسئلة على حين أنه يحاول أن يتهرب منها أو يجيب عنها بطرق ملتوية ، فمثلا وجهت اليه الاسئلـة التالية :

— لماذا خنت الاشتراكية ؟

— اننى لم أخنها ولكن الاشتراكية هى التى خانت نفسها ٠

— لماذا اغتلت ماتيوتى ؟

— اننى لم أكن أعرف شيئا عن هذا الموضوع ؛ وعندما علمت به اتخذت اجراءات سريعة ضد من أرتكبه ٠

— لماذا طعنت فرنسا من الخلف ؟

— لكى أحاول أن أشرح لكم الاسباب التى دفعت ايطاليا الى دخول الحرب يستغرق ذلك وقتا طويلا منى ٠

— هل أنت الذى ألقيت خطابك فى جرانساسو بمحض ارادتك أو أنك قد أكرهت على ذلك ؟

— لقد أجبرت على القاء هذا الخطاب ٠

— لماذا اتخذت اجراءات عنيفة ضد قوات المنظمة السرية ؟ لقد قتل كثير منهم ، ألا تعرف ذلك ؟

— ان يدى كانتا مغلولتين ، فلم أكن أستطيع فى ذلك الوقت أن أعترض على كل مايفعله كل من كيسلرنج وولف ، وكنت دائما أتحدث مع الجنرال وولف واذكره بالقصص التى تصلنى عن العمليات الوحشية التى ترتكب ضد الشعب الايطالى بمختلف اتجاهاته وفئاته ، وكان وولف يرد على قائلا : ان هذه هى الوسيلة الوحيـدة لاستخراج الحقيقة حتى الاموات أنفسهم يمكن أن يقولوا الحقيقة فى غرفة التعذيب

وكانت الأسئلة تنهمر عليه بلا توقف ، الأمر الذى جعل حلقه يجف ويطلب جرعةمن الماء ، فأحضروا له كوبا من الماء وفنجانا من القهوة شربهما

وجلس بعد ذلك صامتا ، ثم وقف ونزع عنه المعطف الالمانى والقاه أرضا ووقف عارى الراس وهو مرتد ملابس المليشيا الفاشية .

أما فى الخارج فقد سمح للقافلة الالمانية باستمرارها فى طريقها الى الشمال على حين قام رئيس مركز اللجنة السرية فى دونجو بارسال برقية الى كومو يعلن فيها القبض على موسولينى ، ويطلب من لجنة التحرر القومى المحلية ان تخبره عن الطريق الذى يجب أن يسلكه .

- ٢ -

كانت الساعة قد وصلت الثالثة والنصف حينما قرر الكونت بيرلويجى بلينى دللى ستللى قائد المنظمة السرية فى دونجو أن يقوم باخفاء سجينه الهام فى مكان أمين منعا لاية محاولة لانقاذه ، ثم عاد فى الساعة السابعة وصمم على نقله الى معسكرات حرس الحدود فى جيرماسينو ، وكان المطر يتساقط بغزارة فى هذا الوقت وأصبح الجو يميل الى البرودة ، لذلك سأل احد الجنود التابعين للمنظمة السرية موسولينى هل يرغب فى ارتداء المعطف الالمانى ؟ فرفض موسولينى قائلا : لم أعد أرغب قط فى رؤية أى زى رسمى ألمانى .

وحينما صعد الى السيارة التى اقلته الى جيرماسينو ، كان يرتعد من البرد . وبدأت السيارة تسير ببطء لان السائق لم يكن يشاهد الطريق بوضوح ، ثم وجه أحد المرافقين له حديثه قائلا : « اعتقد أن هذه المرة الثانية التى تؤسر فيها ، فرد عليه موسولينى وعلى فمه ابتسامة المرح المفتعل قائلا : « هذه هى الحياة يابنى ، وهذا هو مصيرى من الوحل الى السلطة ومن السلطة أعود مرة اخرى الى الوحل ! » .

وبدا موسولينى يستعيد بعض حيويته المفقودة ، ويعزى نفسه بفكرة الاستشهاد وعندما وصل جيرماسينو كانت وجبة الغداء قد أعدت له ، وقدمت اليه ورقة لكتابتها بخط يده والاعتراف فيها بحسن المعاملة التى يلاقيها بعد القبض عليه ، وفى الساعة الحادية عشرة مساء شعر بالتعب فطلب أن يذهب الى النوم .

ونعود مرة اخرى الى دونجو لنجد أن الكونت بيلليني قد وجد كلاريتا بيتاتشى فى غرفة فى فندق « تاون هول » حيث أغلقت على نفسها هذه الحجرة وادعت بأنها اسبانية الجنسية بالرغم من عدم وجود جواز سفر يثبت ذلك ، وكانت مصممة على أنها شقيقة السفير الاسبانى لدى الجمهورية الايطالية لدرجة انها كانت تذهب الى فتيات القرى وتسألهن عما ينتظر أن يرتكب مع كلاريتا بيتاتشى اذا قبض عليها رجال اللجنة السرية .

وعندما اخبرها الكونت بيلليني أن موسولينى أصبح سجينا أنكرت تماما أنها تعرفه أو أنها التقت به من قبل ، ولكن بيلليني أخبرها بأنه يعرف من هى ، وأنه قد اكتشف أن السفير الاسبانى هو نفسه شقيقها مارسيللو فانهارت على الفور واستفسرت عن صحة موسولينى وعن حاله فى سجنه فطمأنها وقال . انه فى أمان ثم نظرت اليه نظرة خاصة وسألته

هل هو صديق أو عدو ؟ فاجابها : انه عدو فانفعلت على الفور وصاحت تقول : « اننى اعرف انكم جميعكم تكرهوننى وأنكم كنتم تظنون اننى كنت أذهب وراءه من أجل ماله وسلطانه ؛ ولكن هذا ليس حقيقيا لان حبى كان صادقا له خاليا من الانانية ... لقد ضحيت كثيرا من أجله وحاولت أن أكون مصاحبة له » ثم تحولت اليه تستعطفه وتسأله أن يفعل معها معروفا وهو أن يضعها فى الحجرة التى يقيم فيها نفسها موسولينى وأكدت له انها ترغب أن تشاركه فى مصيره نفسه حتى لو كان الموت .

وقد فوجىء بذلك الكونت بيلليينى وأخذ يحدق فيها النظر فى ذهول ثم ترك الحجرة دون أن يجيبها على طلبها .

- ٣ -

فى المساء نقل موسولينى الى جيرماسينو حيث استقبله صديق له وهو الجنرال كادورنا ، وبصحبته الكولونيل بارون جيوفانى - سردانا الذى عين قائدا للجنة التحرير القومى فى كومو ، وكان سردانا قد اتصل بالجنرال كادورونا وأخبرة بالقبض على موسولينى فى دونجو ، وطلب منه تعليمات عما يمكن أن يفعله مع موسولينى وكان سردانا قد تلقى تعليمات من مدير مكتب كادورنا تأمره بنقل موسولينى الى ميلانو لذلك ذكر سردانا أن هناك استحالة تامة وصعوبة مطلقة فى نقل موسولينى الى ميلانو ، اذ أنه لايمكن الثقة بالرجال الذين سيرافقونه ونظرا لهذه الخطورة فقد تقرر نقل موسولينى من جيرماسينو الى قرية بلفيو وهى على مسافة سبعة كيلو مترات شمال كومو حيث يمتلك أحد أصدقاء البارون سردانا الاغنياء ويدعى ريمو كاديماتورى فيللا منعزلة مقابلة للبحيرة ووافق ريمو على طلب سردانا وذهب لانتظاره بعد أن شعر أن السجين الذى سوف ينتقل ليس سوى موسولينى .

- ٤ -

أرسل أمر نقل موسولينى من جيرماسينو الى فيللا كاديماتورى فى بلفيو الى الكونت بيلليينى فى حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف ؛ وبعد ساعتين تم نقل موسولينى فى عربة التقت بالقرب من بونتى ديللافولك أى جسر فولك بعربة اخرى كانت تقل كلاريتا بيتاتشى ، فخرج موسولينى الى كلاريتا وحيا كل منهما الآخر بطريقة رسمية وغامضة : .

- مساء الخير ياسعادة الدوتشى .

- أنت ياستيورا .. ؟ .. لماذا انت هنا ؟

- لقد اخترت أن أكون بجوارك دائما .

وكان هذا هو كل مادار من حديث بينهما ، اذ اندفعت السيارات بعد ذلك فى طريقها الى ملتارازيو : وكان موسولينى يجلس صامتا وهادئا وهو جالس فى عربته التى اخترقت ملتارازيو . وبعد أن ابتعدت السيارة عن ملتارازيو بمسافة سبعة كيلو مترات الى الجنوب ؛ كان موسولينى يطير فوق كومو وكان يرى بوضوح القتال الذى يدور فى الشوارع ،

والتقدم الكبير الذى أحدثته القوات الامريكية فى سهل لومباردى ، ونقل السجينان الى ازانو ، وكان موسوليني قد انهار كلية لدرجة أنه لم يكن يقدر على الوقوف أو التحرك على حين كانت كلاريتا تساعده على الوقوف وتسنده خوفا من الوقوع على الارض . وكان فى انتظار السجينين شخص يدعى كانالى الذى قادهما الى منزل ديماريا س. وأطلق اشــــارة صوتية تشبه أصوات الحيوانات لتنبيه أصحاب الدار : فخرج جياكومو ديماريا ووقف على باب منزله ومعه زوجته وفى يده لمبة زيتية ، وحينما وصل موسوليني افسحا له الطريق وخلفه كلاريتا وكانالى وتحدث كانالى الى صاحب الدار قائلا : « انهما سجينان فعاملهما أحسن معاملة ودعهمــــا ليناما ثم أمر اثنين من الصيادين وهما كانتونى وفرانجى بالقيام بحراسة السجينين .

وقام جياكومو ديماريا باشعال النار فى المدفأة وقدم بعض المأكولات الى السجينين ، ولم يكن يعرف من هما ؛ ثم وجه كلامه الى موسوليني قائلا : ماذا تطلب أيها السيد ؟ فرد عليه موسوليني بأنه لا يرغب فى شيء ولكن كلاريتا طلبت بعض القهوة . وبعد فترة جاءت زوجة ديماريا وأعلنت أن مكان النوم معد فى أعلى ولكن موسوليني لم يتحــــرك وظل ساكنا فى مكانه ، فربتت كلاريتا على كتفه وطلبت منه أن يذهبا معا الى أعلى ، فوقف موسوليني وتبعها وتبع زوجة ديماريا على الفور وعندما جلس على حافة السرير بدأ ينزع الاربطة التى لفها على رأسه وكانت من الموسولين الأبيض ، وأخذت السنيورا ديماريا بغسل هذا الرباط وتدقق نظرها فى وجه موسوليني الذى بدأ يبدو مألوفا لديها . وطلبت كلاريتا من سنيورا ديماريا أن تذهب معها لتغتسل ، فرافقتها الى أسفل حيث أغتسلت ثم صعدت ، الى أعلى ورقدت بجوار موسوليني بعد أن نزعت كل ملابسها وكان الحارسان كانتونى وفرانجى يرهفان السمع الى ماقد يدور بينهما من حديث ، ولكنهما لم يستطيعا أن يتبينا أى كلام ، وكانا يعتقدان أن هذين السجينين أما أن يكونا بافيلونى أو جرازيانى مع زوجته ، ولم يستطع هذان الحارسان ان يصمدا طويلا امام هــــذا السرير فاندفعا الى الحجرة فسحبت كلاريتا غطاء السرير والتفت به على حين صاح موسوليني فيهما قائلا : اذهبا بعيدا .. ويجب الا تسلكا هذا المسلك مرة أخرى فتركا الحجرة وجلسا فى مكانهما السابق وظلا فى يقظتهما مترصدين لأية حركة فى الحجرة وفى الفجر اضطرا أن يناما .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا خرجت السنيورا ديماريــــا الى الحقول ، وكان الجو قد بدأ يتحسن وهبت ريح خفيفة ولطيفة من الجنوب والتفت الى نافذة المنزل ، فوجدت الدوتشى يميل على النافذة وينظر الى الجبال التى تغطيها الثلوج فيما وراء بحيرة ليكو وفى الوقت نفسه ذهب زوجها الى أعلى لسؤال السجينين هل يرغبان فى تنــــاول أى نوع من الطعام ؟ فوافقا على بعض من اللبن والخبز ، وكان الانهاك التام يبدو على موسوليني ، اذ أن عينيه قد تكورتا بالأحمر وأصبح وجهه أبيض يميل الى الصفرة يحاكى وجوه الموتى ، وعندما انتهت كلاريتا من تنــــاول طعامها

ذهبت مرة اخرى الى السرير واستلقت عليه ؛ على حين كان موسوليني يمضغ فتات الخبز بصعوبة ، وسحبت كلاريتا غطاء السرير عليها حتى عينيها وأسبلت عينها ونامت بالرغم من أنه كان يبدو عليها عدم النوم ، ثم جلس موسوليني على حافة السرير وظهره لها وهو ينظر خلال النافذة الى الجبال الممتدة حتى نهاية الافق •

الفصل السادس عشر

الكولونيل فاليريو

٢٨/٢٧ من أبريل ١٩٤٥

« بالرغم من أن قتل الانسان لاخيه الانسان عمل يتعارض مع معتقداتى فانى قد وجدت ان العنف يأتى من أسفل ردا على العنف الذى يأتى من اعلى ، بالرغم من انه يحدث بطريقة مؤسفة وغير ضرورية . عندما تسد جميع الطرق فمن الضرورى شق أى ممر حتى لو كان على حساب الدماء » .

عندما علمت لجنة التحرر القومى لشمالى ايطاليا وهيئة المتطوعين الاحرار بخبر القبض على موسولينى اجتمعوا على الفور فى ميلانو ، ولكن التقارير التى وردت بعد ذلك ظلت متضاربة حول القرارات النهائية التى اتخذت . وكل ماامكن معرفته هو أن هذه اللجنة قد قررت ايفاد ولتر اوديسيو لاحضار موسولينى الى ميلانو ، ثم أجريت بعض المناقشات الخاصة بعد هذا القرار كان من بينها احضار موسولينى ميتا الى ميلانو ، وكان بالبروتولياتى وهو أحد الزعماء الشيوعيين فى ميلانو قد أصدر أمره بالفعل باعدام موسولينى وكان هذا الامر يتضمن اطلاق النار فورا على كل من موسولينى ووزرائه اذا تم القبض عليهم ولم تكن لجنة التحرر القومى تعلم شيئا عن نية الشيوعيين لانها كانت قد صممت على تسليم موسولينى الى الحلفاء .

وقد حاولت كل القوات الأمريكية والحكومة الايطالية المعادية للفاشية فى الجنوب البحث عن موسولينى وايجاده قبل اعدامه على أيدى الشيوعيين كما كانت لجنة التحرر القومى تبذل أقصى مجهود لها فى العثور عليه لتقديمه للحلفاء ، لذلك عندما علمت اللجنة المركزية فى ميلانو بالقبض عليه ، أرسلت برقية الى مركز قيادة الحلفاء فى سيينا ، وكانت البرقية تقول : « ان لجنة التحرر القومى بالرغم من تعهدها بتسليم موسولينى اليكم قد قررت تقديمه للمحاكمة الشعبية واعدامه فى المكان الذى أعدم فيه خمسة عشر مواطنا مخلصا من المعادين للفاشية » .

وبعد مرور ساعة قدم الجنرال كردونا تصريحا الى اوديسيو للبحث عن موسولينى ، وكان هذا التصريح مكتوبا باللغة الانجليزية وينص على ما يلى :

ان الكولونيل فاليريو « الذى عرف من قبل باسم مانولى جيوفانى باتيستا دى سيزار » ضابط ايطالى منتم الى القيادة العامة لقوات المتطوعين

الاحرار ، وقد أرسلته لجنة التحرير القومي فى شمالى ايطاليا الى كومو وضواحيها ، لذلك يجب منحه حرية التنقل مع الضـــابط المرافق له المندوب عن الجيش الأمريكى الكابتن ١ ٠ ك « داداريو » ، وقد تسلـــح اوديسيو وفاليريو ومرافقوهما بمدافع ستنزوبرتا ، ووصلوا كومو فى الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٨ من ابريل ، ولكن بعض الاشخـــاص اعترضوا طريقهم وطلبوا ابراز تصاريح مرورهم ، ثم سمح لهم بالدخول الى اللجنة الفرعية للتحرر القومى ؛ وظلوا فى نقاش مع أعضاء اللجنة حول تسليم موسولينى اليهم ، ولكنهم فشلوا فى الوصول الى نتيجة ، فاضطر أوديسيو للاتصال بميلانو لتلقى التعليمات واخطارها بمـا حدث وفى الوقت الذى كان فيه اوديسيو يتحدث بالتليفون انسحب مرافقاه الكولونيل الدولامبردى ، وريكاردو موردينى وذهبـا الى دونجـو دون اخطاره أو ترك رسالة له ، وفى هذا الوقت نفســه تمكن اوديسيو من الوصول الى اتفاق مع اللجنة الفرعية يتم بمقتضاه تسليم جميع الفاشيين لهم بشرط مصاحبة مندوبين من لجنة التحرير القومى فى كومو له ، ولكن اوديسيو استطاع أن يتخلص من مندوبى لجنة كومو وهو فى طريقه الى دونجو ؛ غير أن لجنة دونجو اشتبهت فى أمره وأطلقت عليه النـــار هو وصحبه الفاشيين ، فاضطر أن يصيح بأعلى صوته الى انه مرسل من قبل اللجنة المركزية للتحرير القومى ، ثم سار الى حجرة القيادة ووجد فيها الكونت بيللينى وبجـانبه زميله الدولامبريدى ، وقامت مناقشات باردة بينهم انتهت بابراز الكونت بيللينى ورقة صفراء موقعة من عضوواحد من أعضاء لجنة التحر ر القومى فى شمالى ايطاليا وقد كتب عليها : « تم تخـــويل السلطة للكولونيل فاليريو لاحضار مجرم الحرب ٠ بنيـــتو موسولينى الى ميلانو » ٠

لذلك اضطر اوديسيو الى كشف حقيقة مهمته أمام هـــذه اللجنة الفرعية ، فاعلن انه قد حضر لاعدام موسولينى ومرافقيه من الفاشـــيين ونقل جثة موسولينى الى ميلانو ، ولكن الكونت بيللينى لم يحاول أن يتفهم هذه الخطة ورفضها من أساســـها ٠

وفى الصباح أعد خطة لنقل جميع الاسرى الفاشيين وفيهم موسولينى وكان الكونت بيللينى يحاول أن يكتسب الوقت من جداله مع اوديسيو وزملائه وهو الجدال الذى استمر حتى الساعة الثالثة من مساء يوم ٢٨ من ابريل ، ثم اقترح فى نهاية المناقشة أن يتركوا الاجتماع ويذهبوا الى جيرماسينو لاحضار موسولينى والاسرى الفاشـــيين ، وذكر بيللينى أن اللذين يعرفان مكان هؤلاء الاسرى همـــا مايكل موريتى ، ولويجى كنالى اللذان غادرا دونجو ٠

غير أن كلا من موريتى وكنالى كانا فى المدينة نفسها والقاعةنفسها لانهما كانا من الشـــيوعيين المتعصبين ، وكان موريتى يعرف تمامـــا الكولونيل الدولامبريدى ٠

وفى خلال عشر دقائق من خروج الكونت بيللينى غـــادر كل من أوديسيو ولامبريدى دونجو على الفور وكان برفقتهما مايكل بريتى ٠

الفصل السابع عشر

مصرع موسوليني في فيللا بلمونت

٢٨ ابريل ١٩٤٥

« لايمكن أي انسان أن يتحدى القدر مرتين ، وكل انســـان يموت الموتة التي تتناسب مع طباعه وأخلاقه .. »

-١-

قطعت أصوات الاقدام العنيفة المندفعة في ساحة منزل ديمازيا الصمت الذي ساد حجرة النوم في الساعة الرابعة بعد الظهر ، فقد دخل المنزل رجل طويل القامة أسمر اللون وارتقى درجات السلم ، ودفع باب حجرة النوم التي يقيم فيها موسوليني وصديقته كلاريتا ، فتطلع بقدمه بعنف ثم اندفع الى الداخل وهو يصيح : أسرعا : أسرعا القد جئت لانقاذكما فتطلع اليه موسوليني بشيء من السخرية والتعجب وقال : أحقا تقول ؟ . انني أشكرك . كم أنت طيب القلب ! ، وكان هذا الرجل نفســـه هو أوديسيو ، الذي سأل موسوليني قائلا : هل معك سلاح ؟ فأجابه موسوليني بالنفي ، ثم تحول موسوليني الى كلاريتا وكانت لاتـــزال مستلقية على السرير ووجهها تجاه الحائط ونظر اليها في الوقت الذي طلب منها أوديسيو أن تسرع بارتداء ملابسها ، فقامت مهرولة وأخذت تجمـــع حاجاتها ثم أخذت تبحث عن شيء فسألها أوديسيو بغضب : عم تبحثين ؟ فأجابته بأنها تبحث عن شيء من أدوات التواليت ، فقال لها : ليس أمامنا وقت ، هيا أسرعي ، وارتدى موســـــوليني الجاكت الرمادي لتكملة زي الماليشيا الفاشيستي ، ثم وجه موسوليني الى اوديسيو سؤالا عن أخبار ابنه فيتوريو فطمأنه أوديسيو بأنه قد أنقذ أيضا ، ولما سأل عن زربينو وميزأسوما أجاب بأنهم يبحثون عنهما فاستراح موسوليني وتنهد بارتياح ثم طلب أديسيو من موسوليني وكلاريتا أن يسرعا على الفـــور في الخروج من البيت .

ولم تكن كلاريتا تصرخ هذه المرة أو تبكي بل كانت عيناها محمرتين وخداها منتفخين ، وكانت تتعلق في ذراع موسوليني نظرا لانها كانت تنتعل حذاء ذا كعب عال وتسير في طريق غير ممهد وتحمل على كتفهـــا حقيبتين صغيرتين ومعطفين أحدهما من وبر الجمل والآخر من الفراء وفي أثناء السير تعثر موسوليني فسقط على الارض وحاولت كلاريتا أن تساعده ولكنه نهرها وزحف على ركبتيه ثم وقف .

وظلا يخترقان القرية ويشاهدان النساء وهن يضربن بملابسهن على الحجارة ، ثم مرا تحت قبر فى اتجاه طريق ممهد حيث كانت تقف العربة فى انتظارهما وكانت السنيورا روزيتا بربريتا تسير مع كلبيها عندما توجهت الى العربة للتحدث الى سائقها الذى كان يدعى جيميناززا . وكان هذا السائق فى حالة عصبية غير طبيعية ولايرغب فى الكلام ، وأمرها أن تسير فى طريقها لان بعض الناس الذين تعرفهم تماما سوف يحضرون فى الحال وعليها أن تنساهم فاذا لم تفعل ذلك فانهـــا قد تفقد ذاكرتها أو حياتها أيضا .

وعندما تركته سنيورا بربريتا شاهدت بعض الناس يســـلكون الطريق فى اتجاهها ، كان من بينهم رجـــل نهرها قائلا : « اذهبى فى طريقك » لذلك ابتعدت عنهم ، وكانت قد شاهدت امرأة يتعلق بذراعها رجل عجوز وكان يدفعه الى داخل العربة الرجل الطويل الـــذى نهرها ، فاستقلا السيارة التى مرت أمام السنيورا بربريتا مرة أخرى وشاهدت الرجل العجوز وعرفت فيه موسولينى ، وكان بجواره كلاريتا والسائق على حين وقف اوديسيو ورجال الحرس على حافتى السيارة ، وحينمـــا تحركت السيارة بهدوء فى اتجاه الهضبة تبعها الصـــــيادان كانتونى وفرانجى ، وكان السائق جيمينازا يراهما فى المرآة ويرى أيضـــــا موسولينى وكلاريتا وهما جالسان ملتصقان كل بالآخـــر ، واستمرت العربة فى سيرها حتى وصلت الى بوابة فيللا بلمونت .

- ٢ -

كانت فيللا بلمونت على صـــخرة عالية ويقيم فيها عائلتان همـــا برناردوبيللينى المهنـــــدس وزوجته تريزا ، ورينالدواوبزى وزوجتـــه وطفلتان صغيرتان هما ليليا وبيانكا . وعندما وصلت عربة اوديسيو أمام الفيلا كانت السنيورا بيللينى تجلس فى حديقة الفيللا ونظرها متجـــه الى البحيرة ، على حين كان زوجها يجلس فى الداخل مع رينالدو اويزى يستمعان الى الراديو ، وكانت تريزا بيللينى هى أول من رأى اوديسيو وهو يخرج من العربه ، وكان يبدو وكانه من رجال الجبال .

وفى الحال أمر اوديسيو كلاريتا أن تتبع موسولينى خارج العربة وكان السائق يقف بعيدا وهو يحمل على كتفه مدفعا ميكانيكا ؛وفى الوقت نفسه رفع اوديسيو مدفعه فى اتجاه موسولينى وكلاريتا وتحدث ببضع كلمات سريعة فهم السائق منها أن اوديسيوقد تلقى أمرا باعدام موسولينى وصديقته ، وكان موسولينى يقف جامدا بلا حركة او انفعال ؛ على حين فقدت كلاريتا السيطرة على نفسها واحاطت رقبته بذراعيها وأخذت تقفز فى الهواء وتصيح قائلة : « لا . . لا . . يجب الا تفعلواذلك . . » وكان صوتها يبدو جافا وعصبيا ، فنهرها الكولونيل اوديسيو وقال لها : « اتركيه وشأنه والا فسوف يصيبك الرصاص أيضا » . ولكن كلاريتا لم تعره أى اهتمام بل أخذت فى قفزها الجنونى لمحاولة منع اوديسيو من اغتيال موسولينى ، وفى هذ اللحظة سحب اوديسيو مسدسه ووجهـه

الى موسوليني فاندفعت اليه كلاريتا وسدت فوهه المسدس براحتيهـا وصاحت « انك لاتستطيع ان تقتلنا هكذا » .

فصاح أوديسيو فى موريتى أن يحضر اليه المدفـع الرشاش ، وفى هذه اللحظة كشف موسوليني عن صدره وصاح قائلا : « اطلق النار فى صدرى » وكانت هذه هى آخر كلمات نطق بها موسوليني بوضوح .

- ٣ -

أطلق أوديسيو أول طلقة من مدفع موريتى على كلاريتا فصرعتها فى الحال وسقطت دون أن يصدر منها أى صوت ، ثم أطلق الطلقة الثانية على موسولينى فسقطت جثته على الأرض والتوت رجلاه تحته ، ولكنه لم يمت وظل تنفسه مستمرا ، فذهب اليه أوديســـيو ليتيقن موته فوجده ينظر اليه بعينين مملوءتين بالعتاب وفمه عليه ابتسامة السخرية وهـــو يتمتم ببعض كلمات غامضة غير مســـموعة ، فجن جنونه وأخذ أوديسيو يطلق النار على صدر موسولينى ، وأخذ موسولينى يهتز بعنف ثم ســـقط على وجهه وقد انتهى تماما . وكان سكان الفيللا قد سمعوا طلقـــات النار وعدوها فوجدوها عشر طلقـــات ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يشـــاهدوا ما يحدث هناك نظرا لارتفاع سور الفيللا .

وحينما انتهى أوديسيو من عملية الاغتيال ، أمر الصيادين بحراسة الجثتين وكانت الساعة قد بلغت الرابعة والثلث ، واستقل أوديســـيو السيارة ومعه مايكل موريتى متجها الى دونجـو . وفي الساعة السادسة عاد جيمانياسدو من دونجو حيث شاهد هو وأوديسيو عملية اعدام خمسة عشر رجلا من الفاشيين اعتقلوا فى موســو « هم : مارسيللو بيتاتشى ، فرناندوميزا سوما ، نيكولا مباتشى، اليسندر وبافيلونى ، باولو ، زربينو وزير الداخلية ، ريجيرو رومانو وزير الأشغال العامة ، أوجستو ليفيرانى وزير المواصلات ، بادلو بورتا مفتش الحزب الفاشيستى فى لومباردى ، لويجى جاتى سكرتير موسولينى الخـــاص الفريدو كوبولو رئيس معهد الثقافة الفاشية ، ارنستو داكواما مدير وكالة شتيفانى ماريونودى رئيس المنظمة الزراعية الفاشية ، الكولونيل فيتوكازلينويفو ، بيتر وسالوسترى أحد ضباط القوات الجوية ، هنترنير وهو من رجال الدعاية الفاشية » .
وتم وضع جثة موسولينى وكلاريتا فى مؤخرة السيارة التى سارت وسط الأمطار فى طريقها الى ازانو .

الفصل الثامن عشر

بيازيللي لوريتو

٢٩ من ابريل سنة ١٩٤٥

« هذه هي اللوحة التي أرغب أن تعلق على قبري : هنا يرقد أذكى حيوان ظهر على وجه البسيطة » .

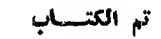
في الصباح الباكر من يوم ٢٩ من ابريل ١٩٤٥ مرت العربة التي تحمل الجثث بعدة نقط مراقبة أمريكية قبل أن تصل الىجراج في بيازيللي لوريتو ، حيث كان قد أعدم الألمان خمسة عشر رهينا منذ تسعة أشهر ، وكان ذلك في يوم الأحد . وظلت الجثث ملقاة في فوضى حتى الفجر حينما قام أحد المارة المجهولين بترتيبهما ووضعهما في نظام ، ووضع موسوليني بعيداً عن بقية الجثث ، وكان رأسه على صدر كلاريتا وكتفيها. وجاء شابان وأخذا يضربان رأس موسوليني بأقدامهما دون رحمة أو هوادة ولم يتركاه الا وقد تشوه وجهه تماماً ، فقد انفتح فمه وتحطمت أسنانه وتحطمت عظام فكه الأسفل ، وكان يبدو كأنه يتأهب للكلام ، وقام آخر بوضع عصا في يد موسوليني وحطم أصابعه حولها .

وفي الساعة التاسعة صباحا اجتمع جمهور كبير وأخذ يصيح ويقفز في الهواء ويقترب من جثة موسوليني وصديقته وهم يصبون عليهما اللعنات والبصقات ، ويطلقون الرصاص على جسديهما لدرجة انهم لم يتركوا قطعة في جسديهما بدون ثقب وذلك دون أن تبدو في نظرتهم رحمة أو شفقة ، وكان من بين هؤلاء الذين أطلقوا النيران على موسوليني وهو جثة هامدة امرأة أطلقت خمسة أعيرة نارية عليه انتقاما لخمسة أبناء قتلوا في الحرب .

واستمر التجمهر يزداد ساعة بعد ساعة الى أن اضطر رجال المنظمة السرية الى اطلاق النيران في الهواء لارهاب الحاضرين ، وسألهم أحد ضباط المنظمة عمن يريدون رؤيته ، فأجاب كثيرون بأنهم يريدون رؤية بافيلوني ، وأجاب آخرون : « بومباتشي وموسوليني وبيتاتشي وبافاريني جويدي » فاضطر الضابط المشرف على هذه العملية أن يربط هؤلاء الأشخاص من أرجلهم ويرفعهم الى أعلى المبنى . وكان أول من رفع الى أعلى من رجليه هو موسوليني لمسافة ست أقدام من الأرض ، وكان يرتدي حذاء برقبة طويلة ، وكان وجهه ممتلئا بالكدمات الزرقاء والحمراء ، وفمه مفتوحا على حين قام رجال الحرس بلف بعض الأقمشة على أجسامهم من

أسفل لتغطية عوراتهم ، ثم رفعت كلاريتا بيتاتشي من قدميهـا الى أعلى ، فصرخت عدة نساء من هذا المنظر ، وتغيرت الحال فساد الهدوء الميـدان وبدأت تسرى همهمات بين النـاس بأن الجثث المعلقة يجب أن يترحموا عليها بدلا من الشماتة فيها ، وفى هذه اللحظة سـقط رداؤها الى أسفل وهى معلقة من رجليها فتعرت ساقاها وردفاها ، فصرخت النسوة وجرت أحداهن اليها وحاولت أن تغطيها ، ولكن أحد الرجال جذبها الى أسـفل وأخذ يضرب جثة كلاريتا بعصاه وهى تتأرجح فى الهـواء كأنهـا لعبة ميكانيكية ترقص يمنة ويسرة ولكن وجه كلاريتا لم يكن وجه لعبة ، فقد رأى الرجال الواقفون جمـالا مجسدا تكسوه الأوحال والدماء ، وكانت عيناها اللتان انفتحتا وقت تعليقها من رجليها قد عادتا مرة أخرى فأغلقتا ببطء ، وكانت تنظر بوداعة وسلام وتبدو وكأنهـا تبتسم فى وجه هذا الحشد الناقم .

أما وجه موسوليني وتقاطيعه التى انهالت عليهـا الأحذية فلم يكن يبدو عليها أى تعبير بالرضا ، وكان يبدو أنه ينظر بأسى ويأس تامين للنهاية المؤلمة التى انتهى اليها ، ولم يكن الحشد يرى فيه سـوى وجه منتفخ ملطخ بالأوحال والدماء .



تم الكتـاب

١٥٧ شارع عبيد — روض الفرج
تليفون : ٤٠٥٨٨ — ٤٠٨١٤
٤٠٧٥٣ — ٤١٠١٢

العدد ٢٧ الثمن ١٠ قروش